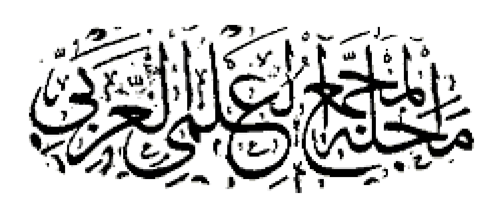
الجزء ٤ — المجلد ١٠



(دمشق) : نيسان سنة ١٩٣٠ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٨ هـ ١١٢

تصنيف الاحياء

« والفاظه العربية »

قرأت في جزء شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠ من المقتطف للدكتور محمد شرف صاحب المعجم الطبي العلمي فصلاً في تصنيف الاحياء من نبات وحيوان وفي الألفاظ العربية التي رأى استعمالها للدلالة على اقسام تلك الاحياء مع مقابلها بالانكليزية . وبعد ان امعنت النظر في تلك الألفاظ وجدت ان الدكتور المحترم شذّ في بعضها عما وضعه او استعمله العلماء والمؤلفون من قبله مثل الدكتور العلامة بوست في كتاب « مبادئ علم النبات » وكتاب « نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات » والعلامة الفقيد يعقوب صروف في المقتطف وعلي رياض صاحب كتاب التاريخ الطبيعي وكبار مؤلفي الترك في كتبهم ، دع غيرهم وهم كثير ممن لم نقرأ تصانيفهم او ممن لا يعول كثيراً على رأيهم في الألفاظ الواردة في كتبهم . وبالنظر الى ما لهذا الموضوع من الشأن فقد رأيت من الواجب ان اكتب فيه على عجل هذه الأسطر الموجزة .

يوجد بين الاحياء افراد تتشابه في خلقها وتحليتها كل التشابه كأفراد الضأن في الحيوان وكأفراد الحنطة في النبات . فمجموع افراد الضأن تكوّن نوع الضأن كما ان مجموع نبتات الحنطة تكوّن نوع الحنطة . وقد ميز الانسان الأنواع منذ ازمان متوغلة في القدم فأطلق على افرادها اسم نوعها . فالانسان الذي عاش في حقبة الحجر المصقول كان اذا رأى افراداً من البقر سمي كل رأس منها ثوراً او بقرة ولم يسمه كبشاً او نعجة

واذا رأى سنابل من الحنطة سمى كل نبتة منهـا حنطة ولم يسمها شعيراً · فالضأن نوع والبقر نوع وكذا كلّ من الحنطة والشعير وهكذا · ويطلق الفرنسيون لفظة (Espèce) على ما اسميناه نوعاً · وكل رأس من الضأن او كل نبتة من الحنطة تسمى فرداً و بالفرنسية (Individu)

قلت ان الحنطة نوع · ولكن جميع افراد هذا النوع لا تكون واحدة في صفاتها فقد يكون لعدد من افرادها صفات خاصة ربما انتقلت بالوراثة الى الانسال لكنها كثيراً ما تتبدل اوتزول مع الزمن · فهذه الافراد هي من صنف او ضرب واحد كالصنف الحوراني من نوع الحنطة وكالصنف الحموي من المشمش الخ · والصنف بالفرنسية (Variété) وقد اطلق عليه العلامة صروف هذا اللفظ فوجدته صواباً فذكرته في كتاب البقول وكتاب الدواجن · لكن غيرنا قد وضع له الفاظاً أخرى كما سيجيء · وقد أوجد الانسان آلافاً من الاصناف النباتية · وهو يحفظ صفاتها بالرجوع في تكثيرها الى التطعيم وغرس القضبان والعُكُس (جمع عكيس وهي الترقيدة) ·

ورب اصناف في الحيوان خاصة تأصلت فيهـا الصفات ورسخت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل مادام افراد هذه الاصناف يسفد بعضها بعضاً دون ان تنزو عليها افراد من صنف آخر فتهجنهـا · فالصنف الذي اصبح راسخاً على هذا الشكل بالانتخاب الطبيعي او الصنعي يسمى عرقاً (او سليلة) و بالفرنسية (Race) كعرق العراب من نوع الخيل وكالعرق البلدي من نوع البقر الخ · وهنا ايضاً يوجد اختلاف في الألفاظ العربية التي وضعت لهذا المعنى كما سترى ·

يتضح مما ذكرت ان النوع في التصنيف يقسم عروقاً واصنافاً وافراداً اي انه اذا كان لديك عشرون بقرة بلدية في مربض وخمسون شجرة من المشمش الحموي في بستان فان الاولى تسمى علمياً عشرين فرداً من العرق البلدي من نوع البقر والثانيـة خمسين فرداً من الصنف الحموي من نوع المشمش · فالعروق والاصناف والافراد هي في سلسلة التصنيف حلقات دون الانواع ، فلننظر ماذا يوجد فوق الانواع من الحلقات ·

اذا القيت نظرة الى عدد من البقر والجاموس رأيتها متشابهة في كثير من صفاتها فنوعا البقر والجاموس هما من جنس حيواني واحد · وكذا نوع الإبل ذوات السنام

الواحد ونوع الإبل ذوات السنامين · والجنس هو بالفرنسية (Genre) · وقد وضع العالم الطبيعي لينيوس الشهير قاعدة مهمة في تسمية المصنفات من الاحياء ذلك انها لما كانت تسمى جميعاً باسماء لاتينية (واللاتينية هي اللسان العلمي) فقد جعل اسم كل نوع من الانواع الحيوانية والنباتية مركباً من لفظتين الاولى منهما تدل على الجنس والثانية على النوع · فنوع البقر مثلاً هو (Bos taurus) ونوع الجاموس (Bos bibelus) فنرى ان لفظة بوس التي تدل على الجنس قد وردت في اسم النوعين فهما إذن من جنس واحد ·

ثم يجب ان يجمع الاجناس شيء فهذا الشيء هو الفصيلة وبالفرنسية (Famille) فالبقر والجاموس والضأن مثلاً من فصيلة واحدة وهي الفصيلة البقرية (والبقرية هنا من قبيل اطلاق اسم البعض على الجميع) والحنطة والشعير والذرة والأرز وعرق النجيل هي من فصيلة واحدة تدعى الفصيلة النجيلية نسبة الى عرق النجيل ·

وربما كثرت اجناس الفصيلة الواحدة وانواعها حتى صار من الضروري جمع المتشابهات من اجناسها في حلقة واحدة تسمى قبيلة وبالفرنسية (Tribu) · فما يأتي فوق الجنس هو اذن القبيلة ومجموع القبائل هي الفصيلة · وقد تكون الفصيلة صغيرة ليس فيها قبائل ·

ثم هنالك المتشابهات من الفصائل فانه يجب جمعها في حلقة واحدة كالفصيلة البقرية وفصيلة الإبل مثلاً فان انواع كليهما تجتر ولذا تجمعان في حلقة واحدة تسمى رتبة المجترات والرتبة بالفرنسية (Ordre) ·

وبعد الرتبة يأتي الصف (Classe) وهو مجموع الرتب التي لها بعض صفات مشتركة مثاله في الحيوان صف ذوات الثدي فانه يجمع رتب المجترات وأكالة الحشرات وأكالة اللحوم وذوات اليدين (الانسان) وغيرها من الرتب ومثاله في النبات صف ذوات الفلقة الواحدة فهو يجمع رتبة النجيليات وغيرها ·

والحلقة التي تجمع الصفوف هي الشعبة (Embranchement) مثالها في الحيوان شعبة ذوات الفقرات فان فيها صف ذوات الثدي المار ذكرها وصف الطيور وصف

الزاحفات الخ . وفي النبات شعبة ذوات الازهار فان فيها صف ذوات الفلقة وصف ذوات الفلقتين .

وليس فوق الشعبة شيء سوى دوحة النبات ودوحة الحيوان .

يستنتج مما ذكر انه اذا كان لديك جاموسة بلدية مثلاً قلت انها فرد من العرق البلدي ونوع الجاموس وجنس البقر والفصيلة البقرية ورتبة المجترات وصف ذوات الثدي وشعبة ذوات الفقرات . ولا يجوز ان تستعمل في التصنيف غير لفظة واحدة لكل حلقة من الحلقات المذكورة والا التبس الامر على القارىء وضاعت الفائدة من التصنيف فلم يعد ذلك القارىء يعرف في اي حلقة علمية يجب ان يضع النبات او الحيوان المبحوث عنهما .

فالاوربيون وضعوا في لغاتهم لكل حلقة لفظة ثابتة لا يمكن ان تتبدل ومجموع تلك الألفاظ بالفرنسية من فوق الى تحت هي :

Espéce , Genre, Tribu , Famille , Ordre, Classe, Embranchement
Individu , Varieté , Race .

اما نحن فقد ركب كل منا هواه وراح يترجم هذه الالفاظ بما يراه وسببه كون التصنيف العلمي الدقيق على هذا الشكل ما كان موجوداً عند العرب الاقدمين او عند من تقدمهم من الامم ، فلفظة نوع مثلاً تراها في الكتب العربية القديمة تدل على معان شتى من رأس سلسلة التصنيف الى ذنبها . وهكذا لفظة جنس وغيرها .

وهاك ما وضعه بعض المؤلفين والعلماء مقابل الالفاظ الفرنسية المذكورة على التتابع :

(اولاً) الدكتور بوست في كتاب مبادىء علم النبات : الرتبة ، الصف ، (لم اجد شيئاً مقابل Ordre) ، الفصيلة (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم اجد شيئاً مقابل Race) ، التباين ، الفرد .

(ثانياً) الدكتور بوست في كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات : القسم ، الصف ، الرتبة ، الفصيلة (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم انتبه لما وضعه مقابل لفظة Race) ، التباين ، الفرد .

(ثالثاً) الدكتور صروف في المقتطف : كان يستعمل الفاظ الدكتور بوست

و يخطئ الذين يشذون عنها حرصاً على سلامة اللغة وخوفاً من الالتباس · وقد كان يرى ان اصلح لفظة تترجم بها (Variété) هي لفظة صنف ·

(رابعاً) اكبر مؤلفي الترك وهم متفقون على هذه الالفاظ وهي : الشعبة ، الصف ، الفرقة (اوالرتبة) ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، التنوع ، الشخص (او الفرد) ·

(خامساً) علي رياض في كتاب علم النبات · القسم ، (لم اجد ما اورده مقابل لفظة Classe) ، الرتبة ، الفصيلة، القسم، الجنس، النوع ، (لم اجد مايقابل لفظة Race) الصنف ، المفرد ·

(سادساً) الدكتور محمد شرف في المقتطف : القبيل ، القسم ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، السليلة (اوالشعب) ، الضرب ، الفرد ·

(سابعاً) ما اوردته في كتابي البقول والدواجن[1] : الشعبة ، الصف ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، الصنف ، الفرد ·

هذه هي الالفاظ التي وردت مقابل الالفاظ الفرنسية على التتابع · ومن البديهي انه يوجد هنالك اقسام اخرى في التصنيف كتحت الشعبة او ردف الشعبة للمجموعات التي تجمعها الشعبة وكتحت الصف او ردف الصف الخ · ومن البديهي ايضاً ان علماء الحيوان والنبات غير متفقين على كيفية وضع اقسام الاحياء ضمن حلقات السلسلة المذكورة وهذه الامور لاتهمنا كثيراً اماالذي يهمنا فهوان نتفق نحن على الفاظ عربية ثابتة تترجم بها الاسماء الاجنبية التي وضعوها لتلك الحلقات · و يستبين مما ذكرت اننا جميعاً متفقون على الفاظ الفرد والنوع والجنس والفصيلة والرتبة مقابل الالفاظ الفرنسية (Individu و Espéce و Genre، Famille و Ordre) اما البواقي ففيها اختلاف ولهذا وجب ايضاحها بايجاز ولنبدأ بالاساس اي بلفظة (Embranchement) فقد خالف فيهـا الدكتور محمد شرف المحترم من تقدموه فسماها القبيل وسميناها الشعبة وقال ان القبيل هو اول قسم من

(١) ذكرت خلافها في كتاب « الزراعة العملية الحديثة » وكتاب «الاشجار والانجم المثمرة » للفوضى المنتشرة في هذا الصدد ·

التفصيل وانه بمنزلة الجذع من الشجرة . فنحن لا نوافقه على رأيه هذا لان للشجرة ساقاً واحدة على حين ان الشُعَب هي اكثر من واحدة سواء في الحيوان ام في النبات . فاول قسم من التصنيف هو الشعب او الفروع في دوحة النبات ودوحة الحيوان اي فيما ترجموه حرفياً بالمملكة النباتية والمملكة الحيوانية . والشعبة هي اصلح لفظة تترجم بها اللفظة الفرنسية المذكورة وهي تطلق في اللغة على اغصان الشجر الغلاظ وعلى الطائفة من الشيء وتستعمل في المجاز فيقال (انا شعبة من دوحتك) . وقد استعملت قديماً لهذا المعنى في مدارس الشام واصبحت شائعة فلماذا نطرحها ونستعمل لفظة القبيل التي لا تفيد معنى التشعب ولم يسمع انها اطلقت على جماعة النبات . ولم يستعملها احد من العلماء والمصنفين .

ولنهبط الى الحلقة المسماة (Classe) فنرى ان جميع الذين صنفوا بالعربية ترجموها بلفظة « صف » فاذا بحضرة الدكتور يخالفهم كلهم و يترجمها بلفظة « قسم » مع ان لفظة صف ارجح من كل الوجوه لاسيما وهي الشائعة في الكتب المهمة كافة . وهو يسمي الـ(Sous-classe) صفاً مع ان قاعدة الاتساق تقضي بتسمية اللفظة المذكورة « تحت الصف » .

ثم لنهبط الى الحلقة المسماة (Tribu) فقد وضع لها العلامة بوست لفظة سبط وترجمها الباقون بلفظة قبيلة واللفظتان موافقتان وربما كانت الثانية اصلح .

اما لفظة (Race) فانها تدل على الصنف او الضرب الذي تأصلت صفاته ورسخت وثبتت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل ولهذا وجدت ان لفظة العرق التي اقرها مؤلفو الترك توافق هذا المعنى بعض الموافقة اي من حيث التأصل والرسوخ . اما لفظة سليلة التي وضعها الدكتور محمد شرف فمعناها في اللغة البنت ولست اراها موافقة وكذا لفظة الشَعْب التي خص بها الانسان اليوم فصارت الآذان لا تألف مثل قولنا « شعب البقر البلدي او شعب الكلب السلوقي ... » . ولدي كتاب مؤرخ في ١٩ آذار ٩٢٥ كان وجهه الي العلامة الفقيد الدكتور صروف و به يقول انه يرجح رفع لفظة عرق من احدى مقالاتي في الخيل العراب ووضع لفظة صنف مكانها . فلما بينت له ان العرق (Race) هو الصنف (Variété) الذي تأصل وانه من الضروري التفريق بين المعنيين اقر لفظة عرق ولم يبدلها . هذا وقد عثرت في احد اعداد المقتطف على لفظة (رس) استعملها

العلامة اللغوي الأب انستاس الكرملي لهذا المعنى ولا اظن هذه اللفظة تساوي لفظة عرق .

وقد اجاد الدكتور محمد شرف بانتقاء لفظة ضرب مقابل لفظة (Variété) . وقد كنت استعملت هذه اللفظة لهذه المعنى في غير مكان من كتبي لكن لفظة صنف هي اليوم اكثر استعمالاً وعلى كل لا اظن انه يحصل التباس من استعمال اللفظتين . ومما ترجحان بنظري على لفظتي التباين والتنوع .

وهنالك لفظة (Hybride) التي لم نبحث عنها الى الآن فان معناها الاصلي الولد الذي ينتج من تسافد حيوانين ينتسبان لنوعين فسيولوجيين مختلفين كولد الحمار والفرس وولد الذئب والكلبة الخ .

وقد ترجم الدكتور شرف هذه اللفظة بالكلمات الآتية وهي النغل والخليس والهجين والبيسر . فانا اسأل حضرة الدكتور ماذا ترك من الالفاظ للدلالة على الولد الذي ينتج من ابوين منتسبين لعرقين مختلفين لكنهما من نوع فسيولوجي واحد كالولد الذي ابواه من نوع الخيل مثلاً لكن الاب من عرق الخيل العراب والام من عرق البراذين او الأكاديش . وهو ما يسميه الفرنسيون (Métis) ويسمون شكل الضراب الذي يحصل منه هذا الولد (Croisement) . فانا أرى ان الولد المذكور هو الهجين بعينه وهو ايضاً الخلاسي وطريقة الضراب هي التهجين . اما الهبريد فيسمى بغلاً مع التوسع كما نطلق مصدر التبغيل على طريقة الضراب التي ينتج بها البغل[1] . ويمكن مع التوسع ايضاً تسميته كودناً او نغلاً مع العلم بان النغل في اللغة ليس سوى ابن الزنية .

وبعد لقد كثرت الآراء في الألفاظ العربية التي يجب استعمالها لحلقات تصنيف الاحياء حتى انني اوردت في كتاب الدواجن الذي سأباشر طبعه عن قريب ، العبارة الآتية وهي : اذا قال احد النحاة (اموت وفي نفسي شيء من حتى) فانا أقول (أموت وفي نفسي شيء من الألفاظ العربية التي يجب استعمالها في تصنيف الحيوان والنبات ...)

(١) راجع ما نشرته في هذا الباب في الصفحة ٢١٥ من المجلد ٧٢ من المقتطف والصفحة ٤٣٠ من المجلد ٨ من مجلة المجمع العلمي بدمشق .

ولا يجوز ان يأتي كل مؤلف جديد بالفاظ جديدة فقد كفانا الى اليوم تعدد الالفاظ للمعنى الواحد . ولا أخالنا ناجين من هذه الفوضى ومن فوضى ترجمة المصطلحات العلميـة عامة حتى تصح عزيمة الحكومة المصرية على انشاء مجمع لغوي يعقد في كل سنة مؤتمراً فيدعو اليه وفود مجامع الدول العربية السائرة ، وهناك في حضرة ارهاط العلوم والفنون واللغة تثبت الالفاظ للمعاني بعد المناقشة في كل لفظة . وعلى الحكومات العربية بعدئذ ان تضمن بما لديها من الوسائل استعمال الالفاظ التي ثبتت دون غيرها . فهل نظنون اننا نعيش حتى نسمع بهذا المؤتمر .

دمشق : مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

— ٤ —

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن قال كنت اخط بين يدي ابي العباس بن الفرات في اول وزارة عبيدالله بن سليمان واتحقق به لان ابي اصطنع اباه (١) وكنت اشرب معه . فكنا ليلة على شراب وقد جرت الاحاديث فحدثنا باخبار عدة من الكتاب والوزراء كانت فيهم حدة . وقال كان أحمد بن الخصيب يركل المتظلمين . وكان ابو عباد ثابت بن يحيي يضربهم بالمقرعة اذا كان راكباً . وكان احمد بن ابي خالد يشتمهم .وعد جماعة . قال وكان في ابي العباس حدة وسفه لسان. فسمعنا ذلك منه ولم نقدم على موافقته . فلما كان من غد ركب وانا معه في السحر . فلقيه في الطريق اهل سمطيا (٢) يتظلمون من عاملهم في شيء ذكروه . فصاح عليهم وشتمهم . فتقدم اليه احدهم فألح عليه في الكلام . فرفسه برجله من الركاب وقنعه بالمقرعة وبصق عليه . فذكرت الحديث الذي حدثنا به من ليلته فضحكت . فسمع قهقهتي فالتفت مبتسماً وقال من اي شيء ضحكت يا عيار ؟ ، فقلت زدتنا نذقة (٣) ياسيدي في ذلك الحديث الذي

«١» م . ع لعله اباه. «٢» لعله سمسطيا . م . ع الذي في ياقوت سبسطية مدينة قرب سميساط من اعمالها على اعلى الفرات.والمشهور انها بلدة من نواحي فلسطين.ولم نجد بالميم الا سمسطا قرية بصعيد مصر. «٣» كذا في الاصل ولعله نزقة .

جرى البارحة . فقال أوقد حفظته ؟ قلت نعم . قال : فقال لي سليمان بن الحسن سمعت دفعات لا احصيها ابا العباس ابن الفرات وقد احتد طبعه على قوم غضب عليهم وكان يقول للواحد منهم يا ابن مائة الف كر خردل مضروبة في مائة الف مثلها زواني. تشاغل بحساب هذا فهو انفع لك .

قال ابو الحسين وما رأينا ولا سمعنا برئيس أسفه لساناً من حامد بن العباس فانه كان لا يرد لسانه عن أحد البتة . وكان اذا غضب شتم . فمن ذلك ان ابي حدثني انه كان بحضرته في مجلس حافل . فجاءت ام موسى القهرمانة فقالت له ان امير المؤمنين امرني ان اقول لك في مجلس حفلك ان ابن الفرات كان يحمل اليّ خريطة في كل يوم فيها الف دينار والى السيدة عشرة آلاف دينار في الشهر والى الامراء والقهارمة خمسة آلاف دينار في الشهر وانك قد اخللت (١) منذ اربعين يوماً . فقال لها في جواب ذلك الساعة قد جئت حادة محتدة تطالبيني بهذا اضرطي والتقطي . واحذري لا تغلطي. قال فقامت خجلة وكان ذلك احد اسباب سقوطه عندهم وغلبة علي بن عيسى على الامور ، ومن ذلك انه استحضر ابن عبد السلام العدل يطالبه بوديعة سُعِيَ بانها عنده لابن الفرات وان يحيى بن عبدالله الدقيقي ابا زكريا قرابة ام كلثوم قهرمانة ابن الفرات اودعته (٢) ذلك فجرى الخطاب بينهما في ذلك وعلي بن عيسى حاضر والخلق من القضاة والاشراف والاولياء وكنت فيهم وانا حدث مع ابي . فقال له هذا الدقيقي ابن البظراء قرابة ام

« ١ » م . ع الظاهر انه من اخل بالشيء اذا قصر فيه . « ٢ » الصواب اودعه .

كلثوم العقلاء تعرفه؟فقال:العدل الوزير اعزه الله اعرف به مني.ومن ذلك انه قال لابن الحواري في دار الخليفة وام موسى حاضرة ليلة قدم من واسط ليتقلد الوزارة في حديث جرى بينهما :قد نلت امه مرتين. فقالت ام موسى ويلي اي شيء هذا واستحيا . وقال لابن الحواري: نحن في السواد اذا غلبنا خصومنا قلنا قد نلنا امهاتهم . ومنها انه استحضر الوليد بن احمد بن اخت الراسبي ليطالبه بمصادرة قد وقف عليها عشية (ليلة)(١) عيد اتى عليه في وزارته ولم يشغله حضور الناس عنده للتهنئة بالعيد فأتى بالرجل بجبة صوف فلما رآه علي بن عيسى وكان حاضراً قال ان رأي الوزير ان يخليني واياه لاخاطبه واقوده الى امتثال امره.فقال افعل ، واستدعاه اليه وجعل يساره وكان علي ابن عيسى قريباً في(٢)المجلس من حامد ، فسمع عليه ما يخاطبه به.فسمع الوليد يحلف قليلا قليلا ما بقيت لي حيلة . فقال لعلي بن عيسى يا ابا الحسن يلذني الساعة أن أنيل أمهذا .فقال علي بن عيسى اللهم غفراً إي والله أيّ لوءم . قال وكان ابن عبدوس الجهشياري الذي الف كتاب الوزراء قائماً على رأس علي بن عيسى لانه كان يحجب ابا الحسن وكان ابوه من قبله مضموماً اليه رياسة الرجال برسم علي بن عيسى الوزير وكان يحجبه ايضاً . قال فتنحى ابن عبدوس من مكانه وقال لعن الله زماناً صرت انت فيه وزيراً . ومنها انني سمعته وقد اجتاز على باب دار كنا ننزلها بشارع الكوفة اذ ذاك وانا قائم على الباب وقد اتفق انه كلمه في الموضع قوم من اهل بادوريا في خراج

«١» مشطوب بالاصل.«٢» بالاصل من .

النخل الشهريز وا كثروا انهم يبيعون المائة رطل منه وهي حمل نخلة بدرهمين وخراجها ثلاثة دراهم وانهم يمنعون من قلعه . فاما اذن لهم في ذلك واما خفف عنهم من الخراج . قال فصاح عليهم وقال ليس لي في هـذا نظر قد صار النظر في هذا وشبهه الى علي بن عيسى فامضوا اليه . قال فانصرف القوم وسار خمس خطى او نحوها ثم وقف وقال ردهم فردهم الرجالة فقال لهم كأني بكم وانتم تمضون الى علي بن عيسى وتقولون قد احالنا الوزير عليك واجابنا .وأمي ان كنت اجبتكم الى هذا زانية وامكم ان قلتم هذا زانية وام علي بن عيسى إن اجابكم الى هذا زانية . ثم سار متوجهاً الى بستانه المعروف بالناعورة ليتنزه. ومن ذلك انه كان يجتمع مع علي بن عيسى في دار الخليفة لما ضمن حامد في وزارته السواد وصار علي بن عيسى مستوفياً عليه ومطالباً له فيتناظران في امر المال فيحتفيه علي بن عيسى بالحجة فيعدل هو به الى السب والسفه . فيقول له علي بن عيسى سلاماً سلاماً . يريد بذلك قوله الله تعالى: « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » فلما كثر ذلك على حامد قال له يوماً عقيب سفه(١) جرى عليه معه كم تذكر سلامة الذي ينيل اختك اسماء . فقام علي بن عيسى وقال ما بعد هذا شيء .وتجنب مخاطبته بعد ذلك . وقال لعلي بن عيسى مرة بحضرة المقتدر انا والله نلت هذا مرتين وهو امرد .

حدثني ابو الحسين قال : رأيت ببغداد في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة وابي وانا مستتران في الكرخ طوافاً يصيح ويقول انظروا الى قدرة الله

«١» م . ع كذا في الاصل وفي المصباح . قولهم عقيب بالياء لا وجه له فليراجع .

في رأس بقرة برأسين واربع اعين فرأيت ذلك كما وصف.

وحدثني ابو الحسين قال : سمعت ابي يقول لما ولي ابو الحسن بن الفرات الوزارة الاولى لم يبدأ بتقليد احد قبل ابي العباس احمد بن محمد بن بسطام. وكان مقيما في مصر على عطلة فكاتبه باجلّ مكاتبة وقلده أعمال مصر وزاده في الدعاء. وقال : هذا رجل قد جرت له عليّ رياسة والرياسة دين لا يقضى. قال ابو الحسين وسمعت انا في الوزارة الثالثة ابا الحسن بن الفرات يقول وقد دفع اليه صاحب الخبر خبراً فقرأه وخرقه ثم قال يتمضني (١) الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب وتفريقي الاعمال على آل بسطام وآل نوبخت والله لولا انه لا يحسن تعطيل نفر من العمال وقد قلدتهم لما استعملت في الدنيا الا آل نوبخت دون غيرهم. قال ابو الحسين : وانما كان يتعصب لآل بسطام رياسة (٢) ابي العباس عليه وللمذهب ويتعصب لآل نوبخت المذهب.

حدثني ابو الحسين قال سمعت جماعة من مشايخ الكتاب يقولون كان المعتضد اذا نكب رجلا من جلة العمال ورؤسائهم وكل به من يحفظه من قبله ولم يمكن عبيد الله من نفسه وربما امر بصيانته وشدد الوصية في امره من غير توكيل به من جهته ولا اطماع في المال وكان اذا وكل به يظهر ان التوكيل للمطالبة وزيادتها والتشدد فيها لا لحفظه نفسه فيطمع العامل. قال وكان يقول هؤلاء اكابر من العمال الذين قد قامت هيبتهم في نفوس الرعية وعرفوا اقطار البلاد هم اركان الدولة واعضاد الوزارة والمرشحون لها. فان

«١» م. ع لعله يمضغني اي يتناول عرضي ويعيبني. «٢» لعله لرياسة.

لم تحفظ نفوسهم وضع ذلك من الامر واثر فيه .

حدثني ابو الحسين علي ابن هشام قال حدثني ابو منصور عبد الله بن جبير النصراني كاتب ابن الفرات . قال لما تنكبت (٢) بنكبة ابي الحسن ابن الفرات بعد الوزارة الاولى سلمت الى ابي الحسن علي بن احمد بن يحيي بن ابي البغل يحتبسني عنده . وكان يطالبني بالمال فادفع عن نفسي الى ان احضرني يوماً فخاطبني في المال فلم اذعن بشيء فدعا بمزين وامره ان ينتف بالمنقاش ربع شعر رأسي فلما نتف منه طاقات يسيرة كدت اتلف وقام هو وقال اذا نتفتم ربع رأسه فعرفوني فلما قام رشوت الموكلين فحلقوا باقي الربع من رأسي ولم ينتفوا واعلموه انه قد نتف فامر ان يقير الموضع النظيف من رأسي بقير حار فجاؤا بالقير فوضعوه على رأسي ولم يكن مفرط الحرارة لانه (لو) كان مفرطا لاتلفني لا محالة . فحين احسست بحمي القير قامت قيامتي وكدت ان اتلف فاذعنت بالاداء واقررت بسبعين الف دينار ودائع لي وكنت التزم تسليمها اليهم . فاخذت في اليوم الثالث فلما كتب خطي بتسليمها امر بالزيت فطلي به رأسي وقلع به القير من رأسي ففرغ «١» شعري الى الآن .

حدثني ابو الحسين (١) قال انصرفت من عند ابي عبد الله نفطويه وقد كتبت عنه اشياء فجئت الى ابي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج فقال لي ما هذا

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله نكبت «٢» م . ع لعله فقزع شعري اي حلق وبقيت فيه شعرات. «٣» معجم الادباء ١ : ٣١٤.

الدفـتر فأريته اياه وكان على ظهره مقطوعتان فانشدنيهما نفطويه لنفسه. فلما قرأهما الزجاج استحسنهما جداً وكتبهما بخطه على ظهر كتاب غريب وكان بحضرته . والمقطوعتان :

تواصلنا على الايام باق ولكن هجرنا مطر الربيع
يروعك صوته لكن تراه على روعاته داني النزوع
كذا العشاق هجرهم دلال ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله ان نلق (١) غضابا سوى دل المطاع على المطيع

والاخرى :

وقالوا شانه الجدري فانظر الى وجـه به أثر الكلوم
فقلت مـلاحة نثرت عليه وما حسن السماء بلا نجوم

حدثني ابو الحسين قال حدثنا جماعة من شيوخ الكتاب منهم علي بن عيسى والباقطاني وغيرهما قالوا حدثنا عبيدالله بن سليمان . قال : لما اصاف(٢) المعتمد بسرمن رأى وأمره اذ ذاك نافذ ومعه قطعة من الجيش وكان سليمان ابن وهب وزيره والموفق بواسط وعبيدالله بن سليمان كاتبه ـ طلب المعتمد من سليمان مالا يحتاله لداره وحرمه وخاص نفقته لا يعلم به الجند فدافعه بذلك . فقبض عليه وقال له : قد تقلدت منذ ايام المعتز والى الآن اعمالاً متوالية منها الوزارة للمهتدي وءمرة (٣) الجبل وغير ذلك وما نكبت ولا

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله نبقى . او نلقى «٢» م . ع : لعله صاف وفي اللسان والتاج صاف بالمكان اقام به صيفاً واصاف دخل في الصيف. «٣» لعله : وإمرة الجبل.

صودرت وارید منك خمسمائة الف دينار . قال وورد علي الخبر فلشدة محبتي لخلاص ابي ما جنيت عليه جنـاية عظيمة بان صرت الى الموفق فقلت له لم يقدم المعتمد على ابي الا لبغضه لك وليس يحقد (١) علينا الا تمشية امرك واجتذاب الجيش اليك . فوعدني بتخليص ابي على مهل . فقلت ان اخرت الامر اسرع الى مكروهه وازالة نعمه . فقال ما تريد : فقلت تخرج عن ممك فتنتزعه من يده قسراً . فقال هذا يحتـاج الى مال ورجال وهو خليفة على كل حال ولا احسب الرجال يطـاوعوني (٢) على حربه . فقلت له عليّ المال والرجال . فقال دعني حتى افكر . قال ودافعني واعتقد فيّ اقبح اعتقاد ورآني بصورة من يملك طاعة الرجال في قتال خليفته وتمكنه (٣) من المال من عنده ومن حيلته ما يرضي به الجيش . فلما عاودته قال يجب ان نقدم المراسلة بيننا وبينه فان انجمت وإلا كانت الحرب . فاخترنا للرسل (٤) صاعد بن مخلد وهو اذ ذاك من جلة أصحاب الدواوين . فاستدعاه الموفق من (٥) حضرته من سر من رأى فصار اليه وحمله رسالة الى المعتمد. فمضى واداها واصلح الامر مع المعتمد لنفسه . اشار على المعتمد باطلاق ابي عاجلا وضمن له إفساد رأي الموفق فيه وفيّ حتى يقبض علينا . فأقام ابي عند الموفق والوزارة اليه فدبر امر الموفق . ثم عاد صاعد فشرع مع الموفق

«١» م.ع كذا في الاصل ولعل اصله يحقده او ضمنه معنى نقم ونحوه . «٢» م.ع حذف النون من هذا الفعل وامثاله للتخفيف وقد تكرر في مواضع كثيرة. «٣» م.ع كذا في الاصل. «٤» لعله : للترسل . م.ع : الاولى للتراسل او الرسالة. «٥» لعله . الى.

في الامر وأنفذ المعتمد ثقاته سراً الى الموفق بما لقنه به صاعد ولم يزل ينسج (١) الامر حتى تمت النكبة علينا .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عيسى اخو ابي عيسى واسمه احمد ابن محمد بن خالد . قال : سمعت أسماعيل بن بلبل يقول ما في الارض اشد جناية على الوزراء والرؤساء من اصاغر اسبابهم . ولقد قال لي راشد صاحب جيش الموفق كنت قد بليت بالنظر في امر إنزال الرجالة ومن يجري مجراهم وكنا نحتاج في كل يوم لذلك الى ستة آلاف دينار فما زالت تنقص بالاضافة الى ان قتصر على ما لا بد منه وكان ثلاثة آلاف دينار . واعتمد الموفق عليّ في ذلك لشدة اهتمامه به لاقوم به اذا لم يطلق المال بمالي وجاهي وحيلتي فافقرني ذاك . وكان عبيدالله بن سليمان وأبوه وهما مقيمان بحضرة الموفق يقصداني ويريثان (٢) المال عليّ . فاحفظني ذلك عليهما . واقتصر (الى) على الفي دينار في كل يوم عاجلة والف بحوالات لا تروج . فكنت احتاج الى ان ارهن سيوفي وسروجي وادخل كل مدخل حتى اقيم الانزال (٣) ووقعا لي في بعض الايام الى جهبذهما ليث بمال من مال الانزال جعلاه من مال ضياعهما فتوارى ليث فبثثت الرسل في طلبه . فوجده بعض رجالتي فأوصل اليه التوقيع . فقال ماعندي للوزير ولا لابنه مال فقال له فاحتل ولو من مالك . فهذا امر مهم للامير ابي احمد . فقال وأيش لابي احمق عندي

«١» م.ع : يقال نسج الزور لفقه وزوره . «٢» م . ع : لعله يرتبان . «٣» م.ع الانزال الارذاق والاقوات .

فجاءني الراجل بالخبر فحملني الغيظ عليهما الى ان شكوت الى الموفق هذه الحال وقلت قد قال كلاماً لا يجوز اعادة مثله قبحاً (١) عليك . فطالبني باحضار الرسول فاحضرته . فأمره ان يحكي الكلام فخاف الرسول فأرهبه فأعاده عليه بعينه من غير كناية . فقال (صدق ليث او لم اكن ابو (٢) احمق لما تركت عليه وعلى اصحابه الاموال حتى تنظر فكان ذلك سبب تعجيل النكبة لهما . فقال لي الموفق اريد ان تلزم اصحابك طلب ليث وتظهر انه بسبب هذا التوقيع وتبث الرجالة حتى اذا حصل قبضنا على اصحابه ؛ فأنفذت عدة ولم ازل اجتهد حتى حصل . وجاء سليمان وعبيد الله من غد للخدمة على الرسم فشوغلا «٣» في الدار الى ان حصل ليث فلما حصل قبض عليهما وانفذ الى صاعد من احضره فتقلد الامر وسلم اليه ليث. قال راشد صرت الى صاعد مهنئاً له بالوزارة. فقال قم بنا لاريك العجب. فقمنا وخلونا ودعا بليث ورفق به . فلم ينفع الرفق. فقال عليّ بحبش غلامه فجيء به فضربه بمقارع يسيرة. فقال انا ادلك على بئر المال . فقال لليث هذه البئر مالك او مال اصحابك؟ فقال بل مالي انا رجل تاجر. فأخرجوا من البئر ثمانين الف دينار. واستخرج بعدها من ليث جملة أخرى كثيرة . فكانت تلك احد «٤» ما قوي طمع الموفق في آل وهب واستئصالهم

حدثني ابو الحسين قال كنا في مجلس حامد بن العباس وهو وزير

«١» م. ع لعل الاصل قال كلاماً قبيحاً لا يجوز اعادة مثله عليك. «٢» م. ع ابو مرفوع على الحكاية. «٣» م. ع: كذا في الاصل ولعله شغلا . «٤» م. ع: الاظهر احدى لتطابق تلك.

وكان يحدث في مجلس العمل كثيراً . فسمعته يحكي. قال قال لي صاعد بن مخلد : لما قلدني الموفق وزارته شرطت عليه ان لا ادخل في مكاره سليمان بن وهب وعبيد الله ابنه ولا اطالبهما ولا انظر اليهما في مال ولا وديعة . وقلت للموفق: سليمان اصطنعني ورفع حالي وصرفني وما دخل قط لي في مكروه ولا دخلت لهما في مثله. ولم اجب الى التقلد حتى صافحني ان لا يلزمني ذلك . فلما تقلدت وخلع علي خاطبني في امرهم «١» بعد ايام وذكر ضيق المال الا من جهتهم. فقلت الشرط املك وانت قادر ان تنصب لهذا كاتباً وتدبره بنفسك وبمن ترى من حاشيتك . فعاودني دفعات وانا ممتنع حتى مضى شهر من تقلدي . فلما رآني على هذه الحال راسل سليمان وقال له ان صاعداً غرني من نفسه وضمن لي القيام بالامور وقد بلح «٢» وليس يذهب ولا يجيء وهو عدو له وعدو ابنك وهو سمى بكما فاضمنه مني واذكر لي ما عليه من الاموال وما في جهته ومعايبه والحجج والتطرق «٣» عليه وعلى املاكه . وكان سليمان محنكاً مجرباً فاعاد الجواب عن الرسالة باني إن كنت موثوقاً بي فلا تحتاج الى ضماني لاني انصح واستقصي على كل من يجب عليه حق للامير ان اعادني الى خدمته ودافع عن كتب الرقعة ، وعلم انها حيلة عليه لامتناعي من مكروهه حتى يجعل الرقعة (حجة) عليه عندي ، فانفذ الموفق الى عبيد الله

«١» م . ع كذا في الاصل والاولى في امرهما . «٢» م . ع بلح الرجل أعيا وبلح الغريم أفلس او لعل صواب العبارة « ضمن لي القيام بالاموال وقد بلح » اي لم يكن عنده مال يفي منه تلك الاموال . «٣» م . ع قال في اللسان . تطرق الى الامر ابتغى اليه طريقاً

مثل هذه الرسالة واستكتمه ذلك عن ابيه فكتب عبيد الله رقعة طويلة يسعى عليّ (١) فيها اقبح سعاية ويضمن بمال جليل ويثلبني ويتكلم بي. فلما وصلت الى الموفق احتفظ بها وغدوت عليه فخاطبني في تسلمهم ومطالبتهم فاستعفيت واقمت على الامتناع. فقال اقرأ هذه الرقعة فلما قرأتها ولم يكن عندي اذ ذاك علم كيف جرت الصورة وانما انكشفت لي بعد ذلك المجلس قامت قيامتي وخفت على نفسي من معاجلة الموفق متى لم اعاجلهم ولم اشك ان ذلك القول صحيح من عبيد الله. وان الموفق قد انعم علي باطلاعي عليه فاستجحت (٢) الى تسلمهم وناظرتهم والزمتهم الاموال العظيمة واستمرت النكبة عليهم.

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن عيسى يقول: سمعت عبيد الله بن سليمان يقول: لما دخل صاعد ابن مخلد علي وعلى ابي ليناظرنا ونحن في حبس الموفق قمنا وتلقيناه فخاطب ابي بجميل وأكرمه. وكلمني بقبيح وجعل لا يخاطبني الا باسمي. ويقول ياعبيد الله فلما اكثر عليّ آلمني ذلك فقلت له نعم انا عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد نتصرف في خدمة السلطان منذ خمسين ومائة سنة ونتقلب في جلائل الاعمال. انت صاعد بن مخلد: مخلد من ابوه ؟ فكان هذا من اكبر ما حفظه علي حتى تناهى في مكارهي. وكان ابي يلومني على ذلك ويقول سبيل الانسان في المحن ان يتطأطأ لها.

«١» م . ع : المعروف سعى به الى الوالي وشى به . او ضمنه معنى نمّ فعداه بعلى

«٢» م . ع : كذا في الاصل . ولعله استجبت

ويذل لوقوعها . ولا يغالبها . ولم تكن نفسي تطاوعني على ذلك وكان من اضر الامور عليّ وكان الحزم مع ابي دوني .

قال ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن محمد بن محمد بن حمدون الواسطي صاحب حامد بن العباس وخليفته قال لي حامد : كان صاعد بن مخلد اول من قلدني العمالة رياسة . فقال لي في بعض الايام احضر معي دار الامير الموفق . فحضرتها معه فجلس في مجلسه منها . واستدعى على خلوة سليمان ابن وهب وابنه عبيدالله وهما منكوبان . فرأيت سليمان وقد خرج بطيلسان وخف ومبطّنة وابنه حاف مكشوف الرأس على أذل صورة . فاكرم الاب واسمع الابن المكروه الى ان دعا له بالمقارع فاخذ سليمان يستعطفه كل الاستعطاف وهو لا ينثني ويقول له اذا صنتك يا ابا ايوب عن مثل هذه الحال فلا اقل من ان تدعني انتقم(١) من هذا الجاهل الفاعل الصانع . قال واقبلت المقارع تأخذ عبيد الله بن سليمان وهو يستعطفه . فلما زاد الامر قال له سليمان يا كافر يافاجر ما تستحي انا اصطنعناك واقعدناك هذا المقعد تضربه بين يدي سبة عليك . قال فاستحيا وامر بقطع الضرب فما ضرب بعدها عبيد الله بحضرته . وواضع الموفق بعد ذلك على ان يكون الضرب بحضرته بايدي غلمانه في داره فحرض الموفق عليهما حتى نهكهما عقوبة وضرباً .

فحدثني ابو علي بن مقلة في نكبته بعد الوزارة الثالثة وهو في دار ابي بكر بن قرابة لمال يؤديه ضمنه عنه ابن قرابة وشكا ما عامله به الخصيبي من

«١» م . ع : لعله انتقم .

المكروه ثم قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول سمعت ابا القاسم عبيد الله بن سليمان يقول: أخرجت واخرج ابي في نكبتنا في بعض الايام بواسط الى حضرة الموفق وقد نصبت له سبنية (١) فجلس وراءها ونحن نعلم بذلك. ودعا براغب فأمره بضربنا. فضرب ابي نيفاً وعشرين مقرعة. ثم دعى بي فنوظرت. ثم امر بضربي. فالى ان يستدعي لي من يضربني قال ابي لراغب: الذي نحن فيه يستطاب معه الموت وما اقول ما اقوله دفعاً عن نفسي ولا عن ولدي وانما اقوله شفقة على الامير. فأعلمه ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ذبح سخلة بحضرة امها فخُبط (٢) من ساعته. قال فوالله مامضى راغب ليؤدي الكلام حتى جاءت الرسل من عند الموفق بان يرفع الضرب عنا. وقد كان بحيث يسمع الكلام من وراء السبنية فما عاد بعدها علينا مكروه.

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو زكريا يحي بن سعيد السوسي المعروف بخلف. ومحله في اليسار والجلالة والمكنة من السلطان والاشتهار بالدين والثقة والصدق والامانة وصحة الرأي (والمحل) — مشهور. وكان نصرانياً في حداثته فأسلم وحسن اسلامه. قال رأيت في منامي يعني بعد اسلامه علياً عليه السلام وكانه جالس ومعه جماعة من اصحابه وبالقرب منه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ومعهما جماعة. قال فسألته: فقلت يا امير

«١» م.ع: السبنية ضرب من الثياب تتخذ من مشاقة الكتان اغلظ ما يكون وثياب من حرير فيها أمثال الاترج منسوبة الى سبن موضع بناحية المغرب. «٢» م.ع: يقال خبطه الشيطان وتخبطه مسه باذى وافسده وخبله، وخبط العرق اضطرب.

المؤمنين ما عندك في ابي بكر وعمر ؟ فاثنى خيراً كثيراً . قلت فلم لم تجلس معهما فقال حياء منهما لما يعمل بهما الرافضة.

حدثني ابو الحسين قال حدثنى ابو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي المعروف بنفطويه في مسجد الرصافة املاء في سنة ٣٠٨ . قال حدثنا ابن بنت يزيد بن هارون ولم يسمه وكذا املى علينا . قال رأيت جدي يزيد في النوم . فقلت له ما فعل الله بك ؟ ومنكر ونكير ما قالا لك ؟ قال قالا لي من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فقلت ألي يقال هذا ؟ وانا اعلمه الناس منذ ثمانين سنة . فقالا لي نم نومة العروس فلا بوس (١) عليك . وعاتبني ربي على كتابي (٢) عن عثمان بن جرير . فقلت يارب عبدك وما اعلم الا خيراً . قال انه كان يبغض علياً عليه السلام .

حدثني (٣) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن بن الفرات قال دخل عليّ المقتدر يوماً وانا في حسبة (٤) في وزارة حامد . فقال لي يا ابا الحسن أتعرف الحسن بن محمد الكرخي الكاتب ؟ فقلت نعم . قال اي شيء هو من الناس ؟ قلت عامل له محل ويفهم من الحساب شيئاً وهو من صنائعي ووجوه عمالي . وقد كان قبل تقلد عمالات لعبيد الله بن سليمان وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي وهو من اهل بيت . قال فقال لي انه قد كتب

«١» م ، ع : المعروف لا بأس عليك اي لا خوف «٢» م، ع اي كتابتي «٣» كتاب الوزراء لهلال ص ٨١ . «٤» م.ع هكذا في الاصل ولعلها الحسبة وهي اسم من الاحتساب ومنه محتسب البلد .

الى يخطب الوزارة ويتضمن (١) بحامد وبعلي بن عيسى . قال فقلت له : ولا كل هذا يا امير المؤمنين من هذا انما طمع في الامر لما رأى حامداً قد تقلد الوزارة ولعمري انها قد اتضعت بتقلده وطمع فيها كل احد . ولعمري انه فوق حامد اولاً في العفافة (٢) وحفظ اللسان والحساب والخط ولكن ليس لانه فوق حامد يجب ان يقلد الوزارة . ولا لان الغلط جرى في امر حامد يجب ان يقلد هذا وعلى (٣) انه قد غلط في ظنه انه يصلح لصرف حامد لان حامداً رجل قديم الرياسة في العمال وله مروءة عظيمة وضياع كثيرة وغلمان كثيرو العدد وله هيبة وسطوة وسن . ونشأ بعيداً من الحضرة فلم (٤) يستشف اخلاقه وافعاله فاستتر امره عن اهلها وله كرم يغطي كثيراً من معايبه وترك الامر في يده ويد علي بن عيسى (اولى) ولا يلحق بعض كتابه فضلاً عنه واني لاقول الحق فيهما على عداوتهما لي. قال فأضرب المقتدر عن تقليده. قال هشام ثم تم التدبير لابي الحسن في الوزارة وصرف حامد . فحين جاءه الحسن بن محمد الكرخي ابو احمد ذكر تلك الحال التي حدثه بها المقتدر . فهاب الحسن ابن محمد علي الامر ورآه بعين رجل بعيد الهمة وعرف تقلب (الامور) راى (٥) المقتدر فرأى ان يحسن الى الحسن بن محمد ويبعده عن الاعمال . فقلده الموصل واخرجه اليها صارفاً لابن حماد . فانتفع الكرخي بذلك المشروع .

«١» م . ع : يقال ضمنته الشيء فتضمنه غرّمه اياه فالتزمه ولعله يريد انه يلتزم استخراج المال منهما «٢» بالاصل الوزارة «٣» لعله : وعندي . «٤» م . ع : الاظهر تستشف «٥» م . ع : هكذا في الاصل ولعل الاصل ورأى المقتدر .

المحاضرة السابعة

الاسلوب (١)

مر بكم وانا الخص لكم مذهب « سانتبوف » في النقد ان الناقد ينبغي له ان يتجرد من نفسه في نقده فمن شرائط عبقرية النقد ان لايكون للناقد فن وان لايكون له اسلوب فاذا كان له شيء من ذلك صرف باله الى العناية باسلوبه فظهرت آثار فنه على الكلام الذي ينقده . هذا الطراز من النقد اسمه : النقد الموضوعي وصاحب هذا المذهب يقتصر على الافاضة في الموضوع نفسه دون التعرض لاشياء لا تتعلق بالموضوع فكأنه يحاول ان ينسلخ من عاطفته في نقده وقد اعترض على هذا المذهب اناتول فرانس فقال :

« النقد انما هو نمط من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ تزاوله العقول الفطنة الطامعة وكل رواية اذا تحن فهمناها كل الفهم ان هي الا ترجمة المؤلف بقلمه فالناقد الحاذق هو الذي يفصح عن خوالج نفسه في تضاعيف روائع المؤلفات ، لا يوجد نقد موضوعي كما انه لا يوجد فن موضوعي وكل الذين يتبجحون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير روحهم فهم واهمون فالحقيقة ان المرء لا يخرج من باطنه ابداً وهذا من اكبر شقاء البشرية اننا قيد انفسنا فكأننا في محبس دائم فالذي يليق بنا عمله انما هو الاعتراف بهذه الحالة الفظيعة والاقرار باننا نتكلم بكلام على انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول : سادتي . اني اريد ان اتكلم بكلام على نفسي في اثناء كلامي على « شكسبير » او « راسين » او « باسكال » او « غيت » فان في ذلك فرصة حسنة .

وهذا النوع من النقد اسمه . النقد الذاتي وصاحب هذا المذهب لا يستطيع ان يتملص من الاعراب عن لواعج صدره في خلال كلامه على مؤلف من المؤلفين .

مالنا ولهذا كله انما بغيتي الكلام على الاسلوب من حيث هو اسلوب دون الاندفاع

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

في التنقيب عن طبقات الاساليب والتلميح الى محاسنها ومقابحها الى غير ذلك مما يرجع الى صناعة الترسل والانشاء ·

من شرائط عبقرية النقد ان لا يكون للناقد أسلوب فما هو الاسلوب ؟ ·

قرأت من يومين كتاباً دوّنت فيه أحاديث اناتول فرانس في مجالسه ، قال جامع هذه الاحاديث وهو من الذين كانوا يحضرون مجالس اناتول ·

طلبوا الى اناتول ان يقص عليهم قصة رنان مع راهبة الدير في لبنان فقال اناتول :

اسمعوا الحديث من فم رنان نفسه ولست أعني بهذا انه حسن القصص ولكنه كان صاحب طريقة خاصة ، فكان يملأ أحاديثه شواهد ويتأوه تأوهات البريتونيين ويتبسم ويدير اباهمه على بطنه ويورم خديه الضخمين في اثناء الحديث ، والخلاصة كان يطبع احاديثه بطابع خاص ·

أحب ان استنبط تعريف الاسلوب من هذا الكلام فالأسلوب هو الطابع الخاص الذي يطبع به الكاتب كتابته ، والشاعر شعره ، والقاص قصته ، الاسلوب هو القالب الذي يصب فيه كل واحد منا فكره وعاطفته ·

يقول بوفون : الأسلوب انما هو الرجل نفسه ، ومعنى هذا ان الاسلوب انما هو فهم المؤلف وطابع عقله فالاسلوب على هذا الوجه انما هو الشيء الذي يملكه المؤلف و يختص به في اي كتاب من الكتب ، لا يراد بهذا الكلام ان الاسلوب صورة طبع المؤلف او صورة اخلاقه ، وانما المراد به المنهاج الذي ينهجه هذا المؤلف في الافصاح عن فكر يختلج في ذهنه او عاطفة تضطرب في قلبه ، فهو جملة ما يتذرع به المؤلف من الذرائع الى تصوير فكره او تصوير عاطفته ·

لنضرب مثلاً للاسلوب ، فلنرجع الى أديب من أدباء العرب ، فلنرجع الى شيخ أدبائنا في القديم وأعني به الجاحظ ، من اساليب الجاحظ انه يلجأ الى أحقر موضوع و ي موضوع أحقر من الكلام على الحاح الذباب ، فيفرغ هذا الفكر في قالب ويطبعه بطابعه الخاص ، واذا هو موضوع يستهوي النفس ويستميل القلب فقد استخلص منه حكمة من أروع الحكم ، واي حكمة اروع من عجز الانسان عن اضعف المخلوقات اي عن الذباب ، فالجاحظ يعظم المعاني الحقيرة فتعظم ، ويحقر المعاني العظيمة فتحقر ، من هذا

النوع كلامه في كتاب الحيوان على الحاح الذباب على احد قضاة البصرة في ايامه عبدالله ابن سوار ، وصف الجاحظ وقار هذا القاضي فصوره في سطر فقال : لم ير الناس حاكماً قط ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، ثم وصف جلوس هذا القاضي فصوّره في صورة بناء مبني او صخرة منصوبة فقال : فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كأنه بناء مبني او صخرة منصوبة ، ثم أفاض في غير ذلك من دقائق الصفات حتى اذا فرغ من وقار القاضي وجلوسه ومن الحاح الذباب عليه وحركة القاضي في اطباق جفن على جفن والموالاة بين الاطباق والفتح وقع في نفس كل واحد منا انه يستطيع ان يقص هذه القصة باسهل من هذا الكلام ولكنه اذا جمع ذهنه وقلب نظره في الموضوع وعرض على باله مفردات اللغة وتراكيبها واخذ قلمه ليكتب اتى عليه يومه كله ولم يقل شيئاً ·

هذا هو الاسلوب وهذا هو معنى كلامي : الاسلوب ملك المؤلف لا ينازعه فيه منازع ، فالفكر الذي بينه الجاحظ انما هو فكر عام يخطر على بال كل واحد منا ولكن المعرض الذي عرض فيه هذا الفكر انما هو معرض جاحظي لا يقلده فيه مقلد ولا يزاحمه عليه مزاحم قال صاحب كتاب ثقافة الافكار الاستاذ ريمي دي غورمون ·

« الكتابة صناعة من الصناعات ولكن الاسلوب ليس من العلم في شيء فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه او اذا قلنا الاسلوب هو شيء مقدس فقولنا واحد ، فالاسلوب خاص بصاحبه وكما ان لكل واحد منا صوتاً خاصاً به او لوناً خاصاً بعينيه فلكل واحد منا أسلوب خاص به ، انك تستطيع ان تتعلم صناعة الكتابة ولكنك لا تستطيع ان تتعلم كيف يكون لك أسلوب فمن الممكن ان تلوّن أسلوبك على نحو خضبك لشعرك ولكنك تلزمك ان تستأنف هذا التلوين في كل صباح دون شيء من اللهو ، قد يتعلم المرء قليلاً أن يكون له أسلوب الا انه ينسى في خلال الحياة ما تعلمه ، فالرياضة التي تحسّن سائر المواهب تفسد في بعض الاحايين موهبة الاسلوب ·

الكتابة على نحو ما يفهمها فلوبر او غونكور انما هي ان تكون شيئاً وان لا تشبه غيرك فالحصول على أسلوب انما هو ان يكون لك في لغة عامة مشتركة لهجة خاصة نسيجة وحدها على ان تكون هذه اللهجة لغة كل الناس ولغة واحد من الناس في وقت معاً ·

لكل واحد منا أسلوب على قدر عاطفته وطبعه وحاله وتربيته وثقافته وبيئته ومزاجه وحسه وتصوره ، فالرجل صاحب النظر الثاقب له أسلوب موجز ، والرجل صاحب الخيال له تعابير مشحونة بالاستعارات والتشبيهات ، والرجل الذي لا نظر له لا تجدون في كلامه وفي تأليفه صلة ما ، ولكل شعب من الشعوب أساليب خاصة فأهل الشرق أصحاب خيال ولذلك ملأوا أساليبهم بالاستعارات وفنون المجاز واهل اثينة شعب مصقول الحواشي رقيق الأطراف فكانت أساليبهم صافية واضحة .

قال جوبر : لكل مؤلف من المؤلفين معجم لغوي وأسلوب فهو يميل الى طائفة من الالفاظ تفصح عن رنات خاصة ولون خاص وشكل خاص ويتزع الى تراكيب تلمس فيها اثر بنانه فله نحوه الخاص وله نوعه الخاص وله مفاخره ومساوءه .

رجع بنا القول الى بقية الكلام على الاسلوب من حيث اختصاصه بالرجل فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه فمعنى هذا ان الافكار هي ملك البشر بحذافيرهم وميراثهم يقتبسها من شاء ولكن الاسلوب الذي يصور به الكاتب هذه المعاني هو ملك له لا ينازعه فيه منازع ، وهنا تظهر براعة البارعين وعبقرية العبقريين ، وهنا يظهر خلود الخالدين فالاشياء تؤثر فينا في الاغلب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لان للناس افكاراً واحدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب هذا ما قاله فولتير .

ومن اصحاب هذا الرأي فاكه فن كلامه : لا يكون الكاتب كبيراً الا اذا اخترع أسلوباً ، يسألون مصوراً عما يريد ان يصوره فيقول : اريد ان أصور فينوز ، لا شك في ان تصوير فينوز ليس فيه شيء من الابداع لان المصور الذي يستمد لذلك ليس باول مصور جال في فكره هذا الموضوع ولكن هذا الامر غير ذي بال اي ليس من الضرورة ان يكون اول مصور خطر بباله تصوير فينوز وانما المهم ان يصور فينوز تصويراً خاصاً به لا يشاركه فيه احد وكذلك فن الكتابة فانه يحتاج الى افكار حديثة وانما الحاجة تمس الى صورة حديثة لهذه الافكار .

ومن كلامه ايضاً في بحث ضافي الحواشي عن هوغو .

هوغو من الخالدين لان الذي يخلد الكاتب انما هو جمال الاسلوب .

ومن اصحاب هذا الرأي اناتول فرانس فقد قال :

اي الرجال يستطيع ان يفخر بانه فكر في امر لم يفكر فيه غيره ، فالاديب يعلم علم اليقين ان الافكار ملك الناس باجمعهم فلا يقدر احد ان يقول: هذا الفكر لي ، الاديب يعلم ان قيمة الفكر بالقالب الذي يفرغ فيه هذا الفكر ·

فافراغ فكرة قديمة في قالب حديث هذا هو الفن كله وهذا مايستطيع البشر ابداعه وانشاءه ، ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه وانما هو ملك الذي يثبته في اذهان الرجال ·

وقال في موضع آخر :

الفن لا يكون موضوعه الحقيقة فالحقيقة تلتمس في العلوم لانها غرض هذه العلوم فلا تلتمس في الادب لان الادب لا موضوع له الا الجمال ولا يمكن ان يكون له الا هذا الموضوع ·

هذه آراء كتاب الافرنجة في الاسلوب فلننتقل الى ناحية اقرب منا فلننظر الى ادبائنا انفسهم والى آرائهم في هذا المذهب ، قال ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين وكتابه هذا من ابلغ الكتب التي تضمنت قواعد الفن والذوق ·

« ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم و يبرزوها في معارض من تأليفهم و يوردوها في غير حليتها الاولى و يزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها ولولا ان القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته ان يقول ، وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين · وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه : لولا ان الكلام يعاد لنفد وقال بعضهم : كل شيء ثنيته قصر الا الكلام فانك اذا ثنيته طال ·

على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي وانما تتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها وقد يقع للمتأخر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلم به ولكن كما وقع للاول وقع للآخر ·

وقال ابن رشيق في العمدة نقلاً عن بعض العلماء ·

ان المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل على

جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف، الا ترى لو ان رجلاً اراد في المدح تشبيه رجل لما اخطأ ان يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفي الاقدام بالاسد وفي المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في احسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر — وبعضهم مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فان لم تقابل الصور الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت في عين مبصرها ·

من هذا كله يتبين لكم ان أكابر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمعوا على فضل الاسلوب فالاعتناء بالاسلوب قديم عهده في الامم فاليونانيون كانوا على هذا المذهب والرومانيون اولعوا الولع كله بجمال الاسلوب حتى افرطوا في هذا الامر فأدى بهم افراطهم الى التقصير في الكتابة الحسنة ، ان للاسلوب سلطاناً لا يقاوم وما قيمة الكاتب الا اسلوبه ، يقول بعض الادباء اكثر فواجع «شكسبير» لم تكن الا سلسلة استعارات طرست على آثار القصة الاولى التي جاءته ، انه لم يخترع الا شعره وعباراته فالصور التي صورها حديثة وحداثتها هذه هي التي بعثت روحاً في فواجعه ، انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البحتري ثم انظروا الى الذين طواهم فلم يمتد لهم ظل ولم يتسع لهم فيء افيعيش البحتري ويموت شعراء وقته لولا الاسلوب ، ان اختراع المعاني محدود ولو لم يكن لمرء اسلوب يختلف به عن غيره لنفد الكلام في العصر الاول من عصور الآداب ولو كان مدار البلاغة على المعاني وحدها لكان الالكن على رأي ابي هلال العسكري بليغاً لانه يفهمنا حاجته بل يلزم ان يكون كل الناس بلغاء حتى الاطفال لان كل واحد منهم لا يعدم ان يدل على غرضه بعجمته اولكنته او ايمائه او اشارته بل لزم ان يكون السنور بليغاً لانا نستدل بضغائه على كثير من ارادته ·

هذا هو الرأي الذي اطبقوا عليه وما شذ عنه بعض الناس ولا طعنوا فيه الا عجزهم عن ان يكون لهم اسلوب حسن ولا يقعن في خلد احدكم ان المراد بالاسلوب مجرد الالفاظ فهذا ظاهر الاحالة لان الالفاظ تدل بطبيعتها على معان فلا ترون الفاظاً من دون معان والذين تجدون لهم اساليب ضخمة ولا تجدون لهم معاني ضخمة هم اصحاب اسلوب اجوف فارغ لانهم لم يحوكوا الكلام على حسب الاماني ولا خاطوا الالفاظ على قدود المعاني ·

دمشق : في ٢١ كانون الاول ١٩٢٩

المحاضرة الثامنة

سحر العبقرية

اجملت الكلام حتى اليوم على امور كانت على غير قصد مني شبه تمهيد لدراسة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب وابي عبادة وابي تمام) وافق التمهيد مديد · فأنا اخشى اذا مضيت في هذه المقدمات ان تنقضي سنتنا ولم نجالس احداً من شعرائنا الثلاثة ولا احطنا بشيء من وشي طباعهم وصوب قرائحهم فأرى ان اجتزيء بهذا المقدار من التمهيد وان ادرس واياكم بعد اليوم اول الشعراء الذين ذكرتهم واريد به ابا الطيب المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس وقبل الكلام على المتنبي لا اجد لي مندوحة عن الكلام على الشعر والشعراء على وجه عام دون التعمق في دقائق الشعر وما يتعلق به فنه فما هو الشعر ومن هم الشعراء ·

الشعر ومعناه في اليونانية · الابداع انما هو في متعارف الاصطلاح الفن الذي يستخدم الالفاظ المتناسقة في تصوير الجمال ، اي في تصوير افكار وعواطف لاصقة بما يناسبها من الصور · الغرض من الفنون بجامعها تصوير الجمال وقد علمتم ان تصوير الجمال انما هو الافصاح عن فكر من الافكار اوعن عاطفة من العواطف على ان تكون هذه الافكار والعواطف قد كسيت ما يشا كلها من ضروب اللباس ، والتأليف بين الافكار والعواطف وبين قوالبها انما هو من عمل الخيال اي خيال اصحاب الفنون ، فاذا خطر على بال واحد منهم موضوع من الموضوعات وقع في حالة اشبه شيء بالوحي يرتفع فيها الى جو اعلى من جو العامة و يحلق في سماء امد من سمائهم فيخترق الموضوع ذهنه وفي هذه الاثناء تنكشف الافكار له في شكلها الحسي فينزل الوحي عليه ·

وعلى هذه الصورة ، الفنون كلها متماثلة وانما تختلف باختلاف الوسائل التي يتوصل بها اصحابها الى بيان اغراضهم ، فالمصور يلجأ الى الخطوط والألوان ، وصاحب الموسيقى يرجع الى الالحان والاصوات ، والشاعر يعمد الى الالفاظ · قال اناتول فرانس في سحر الالفاظ : قلق الشعراء لذيذ ، فلا ترثوا لهم ، ان الذين يعنون بعلمون كيف يخلعون حلة

بيضاء على سواد قنوطهم ، فلا سحر الاسحر الالفاظ فالشعراء يتعزون كما يتعزى الاطفال وما عزاؤهم الا الصور » .

فالشعر لا يتم بالأوزان والتقفية وانما يتطلب صوراً لانه بالصور وحدها يستطيع ان يخلع على الافكار والعواطف لباساً محسوساً .

[متى يكون الشعر]

لا يكون الشعر الا اذا جمعت الفاظ متناسقة وكانت هذه الالفاظ تتضمن صوراً تناسب المعاني التي تصورها ، فلا تزدادالافكار والصور تناسباً ولا تزداد الالفاظ من جهة ثانية تناسقاً ، سواء أكان هذا التناسق في الالفاظ نفسها ام كان في الافكار وفي الالفاظ التي تمثلها الا ازداد الشعر كمالا .

قد يكون الشعر في مندوحة عن الاوزان طالما ان الشاعر يستطيع ان ينسق كلامه من دون وزن ، الا ان الاوزان نافعة لان الالفاظ الموزونة اشد تناسقاً دع عنك ان هذه الاوزان تجعل لكل نوع من أنواع الفكر والعاطفة لغة خاصة فلكل جنس من اجناس العروض مقام واذا امكن ان يكون شعر دون ابيات موزونة ولا اقول دون تناسق اواذا امكن ان تكون ابيات موزونة دون شعر فلابدلنا في كل حال من اعتبار الاوزان قال شيننيه في كتابه (علم الجمال) البيت من الشعر ما هو الا لباس ولكنه لباس طبيعي لطيف تلبسه الفكرة الشعرية ، البيت من الشعر جناح يعين هذه الفكرة على الارتفاع من الارض ويحول دون تلطخ بردها القشيب بالوحل ، البيت من الشعر انما هو المثل الاعلى للكلام .

وقال ابن رشيق في العمدة :

« فاذا اخذه — اي اذا اخذ الشعر — سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته وازدوجت فرائده وبنـاته واتخذه اللابس جمالاً والمدخر مالاً فصار قرطه الاذان وقلائد الاعناق واماني النفوس واكاليل الرؤوس يقلب بالالسن ويخبأ في القلوب مصوناً باللب ممنوعاً من السرقة والغصب .

[ما هو ارتباط الشعر بالموسيقى]

الغناء الذي يزيد في تناسق الكلام يزيد ايضاً في كمال الشعر وقد كان الشعر

والموسيقى في بدء الجماعات متحدين فكان كل شاعر صاحب موسيقى على ان اتحاد الموسيقى والشعر لا ينفع الشعر الا اذا كانت الحان الموسيقى تصاحب في الشعر الالفاظ وحدها اما اذا حالت الموسيقى دون فهم الشعر امتنع الشعر ولم يزول الناس الموسيقى في الاصل للموسيقى ذاتها ولكنها كانت خادمة الشعر ولهذا لم تتكامل اغاني الامم في بدئها تكامل الموسيقى في عصرنا هذا .

وهنا لا بد لي من تلخيص هذا الامر : الموسيقى فن يختلف عن فن الشعر وان كانا يستخدمان الالحان في تصوير الجمال ، الا ان الموسيقى تستخدم الالحان لالالحان ذاتها فغايتها العاطفة موصولة بالالحان ، فكل ما عرفت الموسيقى في تناسق الالحان وتجردت من الفكرة التي تصورها الفاظ هذه الالحان كانت الموسيقى متكاملة اما الشعر فانه على خلاف هذا الامر فهو يعتبر اللحن بمنزلة علامة لنقل الفكرة والصورة فاللحن ليس بغرض الشعر الحقيقي وانما حقيقة غرض الشعر الفكرة المحسوسة التي يمثلها اللحن للذهن .

للافصاح عن الفكرة والعاطفة مذهب آخر من الكلام وهو النثر ، فالشعر يختلف عن النثر من وجهين من حيث المعنى ومن حيث المبنى .

اما من حيث المعنى فالمنظوم من الكلام غرضه تصوير الجمال اي جعل الافكار محسوسة فهو يصور الجمال للجمال نفسه فلا تكون غايته الا اللذة ولكن النثر قد يكون من دون ان تجدوا فيه صيغة محسوسة للافكار ، واذا عني الكتاب في بعض الاحايين بالجمال فما هو الا ليحصلوا على منفعة ما ، فهم يستفيدون من سحر الجمال ما يمكنهم من التهذيب والاقناع وما شابه ذلك .

الشعر لا يعرض علينا الافكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الافكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فاذا قلنا الربيع فانا نفهم الذي يراد بكلمة الربيع ولكننا لا نتصور شيئاً في اذهاننا واما اذا سمعنا البحتري يقول :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً   من الحسن حتى كاد ان يتكلما

ادركنا الفكرة نفسها اي فكرة الربيع ولكن سحر العبقرية قد بعث في هذه الفكرة حياة حتى كأننا بمحضر شخص باسم الثغر ضاحك الوجه قد هم بالكلام .

فالشعر غرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة ، قال اناتول فرانس :

« يحق للعلم ان يطلب الينا ان يجتهد ذهننا ويتنبه فكرنا ولكن الفن ليس له هذا الحق ، شأن الفن ان يلذك و يسرك ليس له غير هذا الشأن ، ولكنهم في هذا العصر قد خلطوا وخبصوا فأحبوا ان يطبقوا في نتائج الأدب ما طبق من الطرائق في العلم على انه بين انشودة من الاناشيد و بين الهندسة الوصفية بون عظيم فالشعر غير الهندسة وما ينبغي لملاذ الفن ان تكون متعبة للذهن » .

ولست ادري الى اي غرض رمى ابن رشيق في كلامه لما قال :

« والشعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل من نحو ولغة وفقه وحساب وفريضة » .

اما ان يكون الشاعر متفقاً فهذا لا بد منه ، واما ان يحمل الشعر ما تحمله اياه من فقه وفريضة وحساب فهذا مالا قدرة له عليه ، فالشعر شيء والجمع والطرح شيء آخر .

قلت : الشعر يختلف عن النثر من حيث المعنى وهو يختلف عنه من حيث المبنى فلكل فكر من الافكار صورة تناسبه من الكلام والفكرة الشعرية تختلف عن الفكرة النثرية فوجب ان يكون لكل من الشعر والنثر لغة خاصة قال ابن رشيق :

«وللشعراء الفاظ معروفة وامثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر ان يعدوها ولا ان يستعمل غيرها كما ان الكتاب اصطلحوا على الفاظ باعيانها سموها : الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها .

فالشعراء هم اساتذة اللغة ، ان لهم الفاظاً اشرف من الفاظ الكتاب فهم يستعملون كلاماً اندر واقدم و يولدون الفاظاً وتراكيب كتوليد امرىء القيس لهذا التركيب بعيدة مهوى القرط او كتوليد غيره من الشعراء .

هذا موجز القول في الشعر وما اظن اني بلغت الغاية في الكلام عليه فان في الشعر شيئاً غير تناسق الالفاظ وغير تناسق المعاني والصور ، ان في الشعر سراً روحانياً يدركه الذي يزاوله وقد لا يدركه غير الذي يزاوله وهذا السر الروحاني هو الذي يجعل الشعر شعراً يهز النفوس ويحرك الطباع ، ما اجمل قول صحار العبدي لمعاوية وقد قال له معاوية :

ما هذا الكلام الذي يظهر منك فقار صحار : « شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا . نعم الشعر شيء والشعر كل شيء ولكن ما هو هـذا الشيء ان هو الا وحي يوحى ، فما الاوزان وما القوافي وما التنسيق ، ان في الشعر شيئاً لاتهبه صناعة وانما تهبه الطبيعة وحدها ، تلهمه الهاماً فيطفح على خاطر صاحبه ، فيقذفه على لسانه فمن كان الشعر غير مناسب لطبيعته وغير ملائم لقريحته فليسمع ما قاله له ابن عبد ربه :

« فلا تمض مطيتك في التماسه ولا تتعب نفسك الى ابتغائه باستعارتك الفاظ الناس وكلامهم ، فان ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك ما لم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملتحمة بطبعك ، واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه واستضاءته بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم تكن معه أداة تولد له من بنات ذهنه ونتائج فكره الكلام الجزم والمعنى الجزل لم يكن من الصناعة في عير ولا نفير » .

من هذا كله تستخلصون ان الشعر قد ركب في الطبع وامتزج بالنفس فالطبع هو العامل الاكبر في الشعر ولعمري كيف يكون الشاعر رقيقاً اذا قدت طبائعه من الصخر ونحت قلبه من الحجر ، ام كيف يكون ظريفاً اذا نشـأ على الغلظة والفظاظة وطبع على فتور الذهن وجمود النفس ، فالناس كلهم يستطيعون ان يتكلفوا الشعر وما كل شعر يقولونه خالد على وجـه الدهر فاذا لم يكن الشعر ابن الوحي والالهام ذهب جفاء ولم يمكث في الارض .

هذا هو الشعر ، هذا هو سحر العبقرية فمن هم الشعراء من هم هؤلاء السحرة فاذا اردتم ان تعرفوا من هم الشعراء فاسمعوا ما قاله فكتور هوغو :

من الخطإ لا بل من الجناية ان يخطر ببال الاديب انه يحق له ان يكون بمعزل عن مصالح قومه ورغائبهم ، وان يعدل بقريحته عن التأثير في اهل عصره وابناء زمانه وان ينفرد بحياته فلا يكون له عمل في البنيان الاجتماعي ، فمن الذي يخلص النية في هذه الاعمال الجليلة غير الشاعر ، اي صوت يعلو في العواصف غير صوته ، ام اي وتر يستطيع ان يخفف من شدة العواصف غير وتر قيثارته ، فمن الذي يقتحم الفوضى فيذهب بمقابحها ويهجم على الاستبداد فيدرج بمكارهه ، وقديماً كان الشاعر صاحب الامر النافذ في الجمع بين الشعوب والملوك وحديثاً له الامر في التفريق بينهم .

فاذا علمتم مكانة الشعراء في المجتمع البشري ادركتم معنى احتفال قبائل العرب في القديم بشعرائهم قال ابن رشيق :

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس، ويتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم وذب عن احسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج . فممن حمى قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه : لا تعجل وانا مهدٍ اليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده :

فما ترك الهاجون لي ان هجوته مصحّاً اراه في اديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره ابقوه للمتعرق
ساكسر ما ابقوا له من عظامه وانكت مخ الساق منه وانتقي
فانا وما تهدي لنا ان هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما بلغته الابيات كف عما اراد وقال :

لا سبيل الى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .

وكيف لا تحتفل العرب بشعرائها وهم الذين يصورون الحق في صورة الباطل و يصبون الباطل في قالب الحق فاذا قالوا نجحت مقالتهم في القلوب ، قال اناتول فرانس :

الشاعر ملك ، الشاعر اكثر من ذلك ، انه فوق أفق البشر ينزل عليه آله الشعر هدوء الفكر ومسرات العقل انه يكتشف عوالم حديثه على نحو « كولومب » دون ان يزايل مركزه ويفتتح البلاد على نحو شارلمان من غير ان يتحرك من مكانه .

انه يجمع هوائج النفوس فيبعث حياة كل واحد من البشر ، يشعر بفرح كل من يفرح و يحس بألم كل من يألم في هذا العالم .

اي سلطان في يديه ! انه يجمع الالفاظ تلك الالفاظ الباطلة التي تقلب العالم . الشاعر يحكم على الاحياء وعلى الاموات .

انظروا الى الملك « مكبث » دل استقصاء المؤرخين على انه لم يقتل احداً وعلى ان زوجته كانت امرأة صالحة فلم يكن على يدي مكبث لطخة دم ولكن من الذي يؤمن بعد

اليوم بصلاح الزوجين الفاجعين · أراد شكسبير ان يصور الملك « مكبث » في صورة مجرم فظيع فلطخ يد زوجته لطخة حمراء فنظر الناس بعد تصوير « شكسبير » الى الملك « مكبث » والى زوجته فلم يروا في «مكبث» الا رجلاً قاتلاً غاضباً ولم يروا في زوجته الا انامل غميسة في النجيع · فلا يستطيع احد ان ينصفهما بعد كلام شكسبير وان ينظر في مظلمتهما مرة ثانية فقد نطق الشاعر واذا الشاعر نطق فلا تسمع المصور غير صوته(١) ·

ما اعظم سلطان الشاعر ! ما انفذ كلامه ! من كلام الازدي على سيف الدولة انه كان جائراً على رعيته ، ومن كلام قاضي سيف الدولة ابي الحصين · كل من هلك فلسيف الدولة ماترك ، ولما قتل هذا القاضي في احدى المعارك داسه سيف الدولة بحصانه وقال لا رضي الله عنك فانك كنت تفتح لي ابواب الظلم ، وذكر بعض المؤرخين ان بني حمدان اكبوا على أبناء عمهم بني حبيب بصنوف الجور حتى مرق بنو حبيب من دينهم والتجؤوا بالروم ، كل هذا نسي منسي ذهب جور سيف الدولة ان كان جائراً وذهب ظلمه ان كان ظالماً ولم يبق في اذهان بعض الناس من سيف الدولة الا الصورة التي صورها ابو الطيب المتنبي في شعره ستكر الايام وتمر العصور وسيف الدولة ·

تشرف عدنان به لا ربيعة　　وتفتخر الدنيا به لا العواصم

هؤلاء هم الشعراء :

دخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من انت قال : ابن هرم بن سنان قال : صاحب زهير ، قال : نعم قال : اما انه كان يقول فيكم فيحسن قال : كذلك نعطيه فنجزل قال : ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم ·

وما أريد بعد هذه الخاتمة ان اقول شيئاً فالشعراء هم الذين اذا اعطوا بقيت عطاياهم على شباب الايام وعلى هرمها ·

دمشق : في ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٢٩

---

(١) لا يراد بهذا الكلام ان حكم التاريخ على « مكبث » او على سيف الدولة قد بطل دفعة واحدة وانما يراد به تصوير تأثير الشعراء ومبلغ هذا التأثير ·

أسامة بن منقذ(١)

هنا في عاصمة الأمويين في سفح قاسيون ذلك الجبل المطل على دمشق المشرف على الغوطتين بالقرب من نهر يزيد الشمالي ثوى عالم من العلماء الاعلام، وقائد من القواد العظام، وبطل من الابطال وشاعر من فحول الشعراء، كانت تخطب وده الامراء والملوك الا وهو ابو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين صاحب التصانيف العديدة في فنون الادب، سكن دمشق واستوطنها ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي بها مؤمراً مشاراً اليه بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزيك ثم عاد الى الشام وسكن دمشق ثم رماه الزمان الى حصن كيفا فأقام به في ولده حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله دمشق وكان مشغوفاً بذكره مستهتراً باشاعة نظمه ونثره فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين فرحل اليه وكان يستشيره في حملاته وغزواته . رحل الى مصر في ايام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فبث بها روح الثورة وعمل على قتل بن السلار حتى قتل .

ولد في شيزر سنة ثمان وثمانين واربعمائة وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمسمائة واربعة وثمانين .

(شيزر في القديم والحديث) = وشيزر قلعة غربي حماة الى الجهة الشمالية على مسافة ساعة في سير السيارة، قال ياقوت الحموي : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الاردن عليه قنطرة في وسط المدينة .

وذكرها امرؤ القيس في قوله :

تقطّع أسباب اللبانة والهوى   عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه   وايقن انا لاحقان بقيصرا

(١) هي المحاضرة التي القاها في ردهة المجمع العلمي الاستاذ طاهر النعساني في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م .

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

فتحها ابو عبيدة صلحاً : تلقاه اهلها وسألوه الصلح على مثل صلح حماة ففعل وذلك سنة ١٧ هجرية .

وأشهر من ينسب الى شيزر الامراء من بني منقذ وكانوا ملوكها وحكامها . وكانت على عهد ابي الفداء مملكة من الممالك أضيفت الى مملكة حماة فكان اسماعيل ملكاً عليها ايضاً .

وهناك بالقرب من شيزر في مرتفع من الارض بحيث تشرف على قلعة شيزر قبة تشتمل على ضريح ومسجد يقال انه ضريح ابي عبيدة والصواب انه ليس بقبر ابي عبيدة ولكنه حينما قدم ابو عبيدة الى شيزر عاملاً من فتحها خيم بجنوده ورجاله في ذلك المكان الحربي المشرف على شيزر فاتخذه الناس بعدُ مقراً لابي عبيدة وبنوا به هذا الضريح وذلك المسجد .

لا تزال بعض جدران شيزر ماثلة تهزأ بالعواصف القواصف وتدل على عظمة الاقدمين وتفننهم في تشييد البنيان ورفعه . ولا يزال فيها السرداب المتصل بالنهر يستقي منه الاهلون وقد تهدم منه القسم الكبير .

وكانت شيزر على عهد آل منقذ عامرة بقطانها ومحصولاتها الزراعية وفواكهها الطيبة . يخرج منها خمسة آلاف مقاتل ، وهي اليوم لا يكاد يوجد فيها خمسون مزارعاً موبوءة مستويلة امراضها فتاكة يضرب بها المثل بهوائها الفاسد فيقال «اوخم من شيزر . ونفعل كذا ولنال كذا ونقول شيزر وخمة » فسبحان محول الاحوال ومقلب الليل والنهار .

(آل منقذ) = اول من ملك شيزر منهم ابوالحسن علي بن نصر بن منقذ الكناني الملقب سديد الملك كان نازلاً مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت القلعة بيد الروم فحدثته نفسه باخذها فنازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة ولم تزل في يده و يد اولاده الى ان جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين وخمسمائة فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الردم فشغرت وجاء نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة فأخذها وجدد من بنيانها ما تهدم

وسآتي على تفصيل هذه الزلزلة . وكان سديد الملك هذا مقصوداً مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي المشهور وغيرهما . وكان له شعر جيد فمنه قوله وقد غضب على مملوك له فضربه وكان يحبه و يميل اليه ولا يؤثر عليه :

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من كفيّ غلهما غيظاً الى عنقي
واستعير اذا عاقبته حنقاً واين ذل الهوى من عزة الحنق

وسديد الملك هذا هو الذي رد الروم والافرنج والاتراك والاعراب عن شيزر ومنعها .

(كيف نجا علي بن منقذ من القتل) = وكان سديد الملك قوي الفطنة ننقل عنه حكاية عجيبة رأيت ان اوردها هنا لما فيها من النكتة والفائدة . وذلك انه كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى امر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صالح الى كاتبه ابي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتاباً يتشوقه و يستعطفه و يستدعيه اليه وفهم الكاتب انه يقصد له الشر وكان صديقاً لسديد الملك فكتب الكتاب كما امر الى ان بلغ — ان شاء الله تعالى — فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على بن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه فقال سديد الملك اني ارى في الكتاب مالا ترون ثم اجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال و كتب في جملة الكتاب « انا الخادم المقر بالانعام » و كسر الهمزة من (انا) وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على الملك وقد اجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فاجاب سديد الملك بقوله تعالى (إنا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها) ووقع نظير هذه الحكاية للخفاجي الشاعر المشهور مع محمود بن صالح صاحب حلب ، ولعمري ان هذه الحكاية لتدل على فرط ذكاء الكاتب ووفائه لصديقه و يقظة سديد الملك وشدة حذقه وفهمه وما بلغ ما بلغه من المجد والشرف الجم الا بما أُوتيه من علم وما انطوى عليه برده من قلب واع وفكرة وقادة . وأسامة ياسادة موضوع محاضرتي

هو حفيد سديد الملك ومرشد ابو أسامة شاعر من فحول الشعراء ، فأسامة شاعر ابن شاعر ابن شاعر وابو شاعر ، وما ظنكم بمن تناسل من شعراء بواسل فهو شاعر باسل ٠

(آل منقذ محسدون) — حين تملك سديد الملك شيزر حسده شرف الدولة على ذلك فسار عسكر حلب مع مؤيد الدولة علي بن قريش الى شيزر ونزلوا عليها في يوم الجمعة خامس ذي الحجة سنة اربع وسبعين واربعمائة بعد مراسلات جرت فلم يجب بن منقذ الى ما التمس منه وكان علي بن قريش قد اخذ في طريقه حصناً لابن منقذ يقال له (اسفونا) غربي كفرطاب وكان ابن منقذ قد تأهب للحصار وحمل من الجسر الى شيزر ما يكفي لمن فيه مدة طويلة من سائرالاشياء ٠ وحصره علي بن قريش مدة الى ان وصل شرف الدولة بنفسه فنزل على شيزر يوم الاربعاء سلخ المحرم من سنة خمس وسبعين واربعمائة ثم رحل عنها الى حمص يوم السبت ثالث صفر واقام عسكره على شيزر ٠ فتطارح ابن منقذ عليه وسير ابنه اباالعساكر وامرأته منصورة بنت المطوع واخته رفيعة الى حمص فدخلوا عليه وحملوا اليه مالاً فأنفذ الى عسكره ورحله عن شيزر في الثامن والعشرين من صفر من السنة المذكورة ٠

(آل منقذ المشهورون) — ابو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب مخلص الدولة والدالامير سديدالدولة ابي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المتقدم ذكره ٠ كان رجلاً نبيل القدر ، سائر الذكر ، رزق السعادة في بنيه وحفدته ٠ وكان في جماعة كثيرة من اهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب اليهم ٠ وكانوا يترددون الى حماة وحلب وتلك النواحي ٠ وكانت لهم بها الدور النفيسة والاملاك المثمنة وذلك كله قبل ان يملكوا قلعة شيزر ٠ وكان ملوك الشام يكرمونهم و يجلون اقدارهم ٠ وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم ٠ ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب ٠ وقدرثاه بن سنان الخفاجي الشاعر بقصيدة رائية ٠ ورثاه القاضي ابو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن ابي حصين بقصيدة من فائق الشعر وغرره وأنشدها لولده ابي الحسن علي المذكور مطلعها :

الا كل حي مقصدات مقاتله   وآجل مايخشى من الدهر عاجله

وتوفي اخوه ابو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة ٤٣٩ ورثاه بن سنان الخفاجي الحلبي ايضاً بقصيدة مطلعها :

حبتك السماء بامطارها　　وكيف نضن على جارها

(سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني) ولد بطرابلس سنة اربع وستين واربعمائة وسمع من الفقيه ابي السمح ابراهيم الحنفي صحيح البخاري بشيزر وولي إمرتها بعد اخيه نصر بن علي وهو شاعر مشهور وله من قصيدة في الامير مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ مطلعها :

ابن مضاء الصارم الباتر　　من لحظات الفاتن الفاتر

توفي يوم السبت للنصف من شوال سنة ٥١٣ هجرية .

(اسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الفضل بن ابي العساكر ابن ابي الحسن بن ابي المتوج الملقب شرف الدولة الكناني الشيزري) امير ، شاعر ، فاضل من اهل شيزر ولد ونشأ بها . ثم بعد ان خربتها الزلزلة انتقل الى دمشق واستوطنها الى ان مات بها . روى عنه شيئاً من شعره الحافظ ابو القاسم ابن عساكر ولم يفرد له ترجمة في تاريخ دمشق . وروى عنه مرهف بن الصنديد الشيزري وابو الفتح عثمان بن عيسى ابن منصور البلطي النحوي وتوفي سنة ٥٦١ بدمشق

١ (اسماعيل بن المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الطاهر بن ابي الميمون الكناني الشيزري الاصل المصري المولد والمنشأ) احد امراء الدولتين العادلية والكاملية سمع بالاسكندرية ابا طاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي الاصبهاني وبمصر من والده . وكان اميراً كاملاً ، وكبيراً فاضلاً ، ندبه السلطان الملك الكامل رحمه الله رسولاً الى المغرب فأبان عن نهضة وكفاية وحسن سفارة لما كان جامعاً له من حسن صورة وسيرة وعذوبة لفظ وسداد عبارة . وولاه ولاية مدينة حران . وجمع له بين الولاية والامارة . وكان له شعر وادب كثير . ولد في العشرين من رجب سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة . وتوفي في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة بحران ودفن بظاهرها .

(المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ الامير سيف الدولة ابو الميمون

الكناني الشيزري) ولد بشيزر سنة ست وعشرين وخمسمائة وسمع بمكة قليلاً من ابي حفص الميانشي . وقد ولي امر الدواوين بمصر مدة وله شعر يسير . وكان مع شمس الدولة توارنشاه اخي السلطان لما ملك اليمن . فناب في مدينة زبيد عنه ثم رجع معه واستناب أخاه حطان . فلما مات شمس الدولة حبسه السلطان لانه بلغه انه قتل باليمن جماعة واخذ أموالهم فصادره وضيق عليه واخذ منه مائة الف دينار سنة ٥٧٧ . ولما توجه سيف الاسلام طغتكين الى اليمن تحصن الامير حطان في قلعة وعصي فخدعه سيف الاسلام حتى نزل اليه فاستصفى امواله وسجنه ثم اعدمه . توفي سيف الدولة في رمضان بالقاهرة .

(عبدالرحمن بن محمد بن مرشد بن علي بن منقذ) الأمير الكبير شمس الدولة ابو الحرث ابن الامير نجم الدولة الكناني الشيزري ولد بشيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وهو الذي وجهه صلاح الدين برسالة الى صاحب المغرب وكان اديباً شاعراً محسناً مترسلا من بيت الشجاعة والامرة .

(مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ) الأمير العالم مقدم الامراء جمال الرؤساء عضد الدولة ابو الفوارس بن الامير الكبير مؤيد الدولة ابي المظفر الكناني الكلبي الشيزري احد الامراء المصريين ولد بشيزر في سنة ٥٢٠ وسمع من ابيه روى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي وكان مسناً معمّراً شاعراً كوالده مليح المحاضرة جمع من الكتب شيئاً كثيراً . وكان جليس صلاح الدين الايوبي ونديمه يروي له شعر ابيه أسامة فيطرب لسماعه ، توفي رحمه الله في ثاني صفر .

(عود الى ذكر أسامة) — جعلت موضوع محاضرتي أسامة لانه أعرق اهل بيته في الحسب واعرفهم بالأدب كما قال ابن العماد .

وكان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من شعر الجاهلية كما روى ذلك عنه ابن السمعاني . يقول ابن العماد : أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه ، يلوح في كلامه أمارة الامارة ويؤسس بيت قريضه عمارة العمارة . تلقى العلوم عن والده مرشد في شيزر وسمع من علي بن سالم السنبسي وسكن حماة مدة يدرس على اساتيذها واعلامها . فهو شيزري حموي وكانت لهم مساكن وعقارات بحماة تغل اموالاً كثيرة . وكان يحب آل البيت ويكرمهم . حتى لقد الحقه بعضهم في الشيعة .

(شجاعته ووقائعه وتمنيه القتل كما تمناه قطري بن الفجاءة) = باشر الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغ مدى التسعين ، قال رحمه‌الله : حضرت من المصافّات والوقعات مهول اخطارها ، واصطليت من سعير نارها ، و باشرت الحرب وانا ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغت مدى التسعين ، وصرت من الخوالف خدين المنزل وعن الحروب بمعزل ، لا اعدّ لمهمّ ولا ادعى لدفاع ملمّ ، بعدما كنت اول من تثنى عليه الخناصر ، واكبر العُدد لدفع الكبائر ، اول من يتقدم السنجقية عند حملة الاصحاب ، وآخر جاذب عند الجولة لحماية الأعقاب .

وهو كسائر الابطال في الاسلام كان يتمنى ان يقتل في سبيل الله ، ويأسف جد الأسف على بقائه حيّاً الى ان بلغ ما بلغه من العمر ، وقد استقرأت ذلك من شعره حيث يقول :

كم قد شهدت من الحروب فليتني　　في بعضها من قبل نكسي أقتل
فالقتل احسن بالفتى من قبل ان　　يفنى ويبليه الزمان وأجمل
وابيك ما اجمت عن خوض الردى　　في الحرب يشهد لي بذاك المُنصل
لكن قضاء الله أخرني الى　　أجلي الموقت لي فما ذا أفعل

(وقائعه الكبار) = منها وقعة كانت بينه وبين الاسماعيلية في قلعة شيزر لما وثبوا على الحصن في سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

ومنها وقعة كانت بين عسكر حماة وعسكر حمص في سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

ومنها مصاف على تكريت بين اتابك زنكي بن أقسنقر وبين قراجا صاحب فرس في سنة ست وعشرين .

ومصاف بين المسترشد بالله وبين اتابك زنكي على بغداد في سنة سبع وعشرين .

ومصاف بين اتابك زنكي وبين الأرتقية وصاحب آمد على آمد في سنة ثمان وعشرين .

ومصاف على رفنية بين اتابك زنكي وبين الفرنج في سنة احدى وثلاثين .

ومصاف على قنسرين بين اتابك وبين الفرنج لم يكن فيه لقاء في سنة اثنين وثلاثين .

ومنها وقعة بين المصر بين وبين رضوان الوخشي سنة اثنين واربعين .

ووقعة بين السودان بمصر في ايام الحافظ في سنة اربع واربعين .

ووقعة كانت بين الملك العادل بن السلار وبين اصحاب بن مصال في تلك السنة ·
ووقعة ايضاً بين اصحاب العادل وبين ابن مصال في السنة المذكورة بدَلاص ·
وفتنة قتل فيها العادل بن السلار في سنة ثمان واربعين ·
وفتنة قتل فيها الظافر وأخواه وابن عمه في سنة تسع واربعين ·
وفتنة المصريين وعباس بن ابي الفتوح في السنة نفسها ·
وفتنة أخرى بعد شهر حين قامت عليه الجند
ووقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج في السنة المذكورة ·
سيره نور الدين محمود بن زنكي المشهور بمحاربة الصليبيين الى قتال الفرنج على عسقلان فسار في ثمانمائة وستين فارساً في وسط بلاد الفرنج وأقام بمدينة عسقلان اربعة اشهر ينازل الفرنج · وهاجم مدينة بيبنى · وحاصر مع نورالدين قلعة حارم ·

« البقية في الآتي »

العلامة محمد ابو شنب (١)

العبد الحقير محمد بن العربي بن محمد ابي شنب وُلد يوم الثلاثاء في العاشر من رجب سنة ١٢٨٦ هـ — ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٦٩ م بقرية يقال لها المدية (والآن المدية) في جنوب الجزائر و تبعد عنها تسعين كيلو متراً قرأ شيئاً قليلاً جداً من القرآن ثم قرأ اللغة والعلوم الفرنسية في مدرسة لمدية الثانوية (الثانوية) ثم انتقل الى دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة بقرب الجزائر وبعد عام خرج منها مجازاً باجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية وبعد عشر سنين قد مضت كلها في التعليم وتعاطي اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وعروض وقافيــة وأدب ، وشيء من التوحيد والفقه أُجيز باجازة مدرسة الآداب العليا — تقلد خطة مدرس اللغة العربية والنحو والصرف والعروض في مدرسة قسنطينة اول محرم سنة ١٣١٦ هـ — ٢٢ مايو سنة ١٨٩٨ م ثم انتقل الى مدرسة الجزائر اول محرم سنة ١٣١٩ هـ — ٢٠ ابريل سنة ١٩٠١ . وبعد اربع عشرة سنة ارتقى الى القسم الاعلى من هذه المدرسة وأقرأ النحو والادب والمعاني والبيان والمنطق وفي آخر السنة (١٩٢٢ م) أُجيز باجازة دكتور في القسم الادبي من كلية الآداب بالجزائر بعد ان قدم اليها تأليفاً في حياة ابي دلامة شاعر بني العباس وتأليفاً آخر في الألفاظ التركية والفارسية الباقية في لغة الوطن الجزائري وقد نوقش فيها أمام الجمهور. وفي اول يناير ١٩٢٤ انتقل مدرساً الى كلية الآداب بالجزائر وما زال بها الى الآن .

وللعبد الحقير إلمام باللغة الطليانية والالمانية والاسبانيــة والفارسية ومعرفة ضعيفة غاية الضعف بالتركية واللاتينية ، وألّف باللغة العربية تحفة الأدب في ميزان اشعار العرب طبعت اولاً بالجزائر سنة ١٩٠٦ وثانياً سنة ١٩٢٨ ورسالة في المنطق غير مطبوعة . وشرح نظم مثلثات قطرب طبع بالجزائر سنة ١٩٠٧ .

ومن التآليف باللغة الفرنسية : مجموع أمثال العوام بارض الجزائر والمغرب في ثلاثة

(١) كان المرحوم الاستاذ محمد ابو شنب احد اعضاء مجمعنا العلمي في الجزائر ارسل الينا ترجمته هذه بقلمه لنشرها في المجلة فلم يتح لنا نشرها الا بعد وفاته رحمه الله .

أجزاء مطبوع بباريس (١٩٠٥—١٩٠٧) . واصل كلمة شاشية طبع بالجزائر (١٩٠٧). إجازة سيدي عبد القادر الفاسي طبع بباريس (١٩٠٧) .

اما الكتب التي نشرها فهي :

البستان في علماء تلمسان لابن مريم طبع بالجزائر (١٩٠٨) . رحلة الوثيلاني طبع بالجزائر (١٩٠٨) . الممتع في شرح المقنع لابي سعيد السوسي طبع بالجزائر (١٩٠٨) . تحبير الموشين للفيروزابادي طبع بالجزائر (١٩٠٩) . فهرسة كتب الجامع الاعظم بالجزائر (١٩٠٩) . عنوان الدراية في علماء بجاية طبع بالجزائر (١٩١٠) . تدميث التذكير في التأنيث والتذكير للجعبري طبع في استراسبورغ (١٩١١) . اصل كلمة تلّيس (بالفرنسية) طبع بالجزائر (١٩١٢) . طبقات علماء افريقية لابي العرب والخشني مع ترجمة افرنسية جزآن طبع بباريس (١٩١٥—١٩٢٠) . تكملة ابن الابار (بالاشتراك مع بَل) طبع بالجزائر (١٩٢١) . الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية طبع بالجزائر (١٩٢١) . فهرسة مطبوعات فاس (بالاشتراك مع ليفي) طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ابو دلامة حياته وشعره بالفرنسية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . الالفاظ التركية والفارسية في اللغة الجزائرية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ديوان علقمة الفحل مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٥) . ديوان عروة بن الورد مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٦) . كتاب الجمل للزجاجي مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٧) .

* * *

(المجمع) : وبعد وفاة المترجم ارسل الينا زميله الاستاذ (ماسيه) احد اعضاء مجمعنا بالجزائر ترجمة له أخرى وقد ذكر في فاتحتها ما ذكره المرحوم في ترجمة نفسه ثم عقب عليها بما يلي مترجماً عن الافرنسية قال :

قال الاستاذ جورج مارسه احد اساتيذ جامعة الجزائر في حق ابن ابي شنب :

ومن الواجب ان نشير اجمالا الى جميع اعماله حتى يتجلى لنا نشاطه العلمي فقد كنا نرجع اليه ونستضيء بضيائه وكنا نناديه (شيخنا) فانه كان يجمع الى صفات العلم والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب .

مشى في جنازة ابن ابي شنب النصارى والمسلمون يؤلف بينهم الاسى والحزن على

الفقيد . وقد ابّنه على ضريحه في مقبرة سيدي عبد الرحمن على محضر من جمهور عظيم الاستاذ مارتينو مدير كلية الآداب في جامعة الجزائر وصديق الفقيد وقال في جملة ماقال : ان المنهج الذي نهجه ابن ابي شنب يدل دلالة واضحة على مقدار ما يستطيع ان يعمله العقل والارادة والعمل في الارتفاع من اصغر المناصب الى اعظمها واني اود ان يوفر هذا المنهج شباب هذه البلاد وشباب فرنسا نفسها ... ان السيد ابن ابي شنب كان صورة الاديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الاساليب الاوربية في العمل من دون ان يفقد شيئاً من صفاته وعاداته وكان يتولى هدايته في العمل استاذه (باسه) فقد تعلم اللاتينية والانكليزية والاسبانيولية والالمانية والفارسية والتركية ، وعرف لوازم النقد العلمي وقد توجهت عليه الاعترافات بقدره . ففي سنة ١٩٢٠ انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً في جملة اعضائه وفي سنة ١٩٢٢ قلدته حكومة الجمهورية الفرنسية وسام فارس جوقة الشرف .. وكان ذا صفات تغرس له المحبة في الصدور وهي كرم النفس وميزة العقل والعفة في الافصاح عن العواطف والاستقامة التامة ... فاذا دنا منه الانسان فإنه لا يكاد ينساه ، فكانوا يذكرونه ذكرى الصداقة ، وكان له ميل الى المساعدة لا ينضب معينه ... اني اظن انه من اليوم الى سنين قليلة سينهض عالم من فرنسة او من الجزائر ويكتب تاريخ تآلف الفرنسيين والمسلمين في افريقية ، فابن ابي شنب سيكون رمز هذا التآلف وحينئذ يمكننا أن نقول احسن مماقلته انا اليوم ، اذ من السهل يومئذ على رجال العلم والعمل مهما تباعدت أقطارهم ان يتآلفوا ويتعارفوا ويتحابوا اهـ .

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٧ —

الهَدالة . — كثيراً ما يشاهد ارباب الزراعة على شجر اللوز والتفاح والجوز والصفصاف وغيرها نباتاً طفيلياً له ورق غير ورق الاشجار المذكورة . ويكون للاغصان التي يعيش عليها هذا النبات الطفيلي منظر غريب ذلك انك اذا قطعت غصناً من اللوز مثلاً ترى له ورقاً هو ورق اللوز نفسه و بجانبه ورق لايشبه الاول البتة . ويكون كلا النوعين من الورق ريانا ومتصلاً بالغصن اتصالاً طبيعياً حتى ان الذي ليس له خبرة بالنبات المذكور يعد وجود نوعين من الورق على غصن واحد من خوارق الطبيعة . فهذاالنبات الذي يعيش علىأغصان كثير من الاشجار يسمى بالفرنسية (Gui) و باللاتينية (Viscum album) وهو شائع في اوربة ويستعمله الاوربيون في أعيادهم وله اوراق لحمية دائمة متقابلة خضراء الى صفرة ، وأزهار على نوعين ذكرية وأنثوية وكلتا الزهرتين على نبات واحد ، وثمار لبية بيض ثخان فيها مادة لزجة وضمنها بزور خضر . وليس لهذا النبات جذور فاذا حملت الطيور او الرياح ثمرة من ثماره والقتها على غصن من الأشجار نبت بزرتها و يخرج منها سويق يذهب صعداً وعضو يقوم مقام الجذير فيلتصق بالغصن ويمتد ويصير زوائد تدخل فيه وتمتص عناصره الغذائية . وبعد ذلك تنمو الساق وتتكون الأوراق فالأزهار وجميع غذائها من سغ الشجرة المصابة بهذا النبات الطفيلي .

يسمي بعض الفلاحين النبات المذكور (الدبق) وهو الاصطلاح العامي الذي اطلقته عليه في كتاب « الأشجار والأنجم المثمرة » لعدم وقوفي اثناء تأليف ذلك الكتاب على لفظة فصيحة تصلح لأن تكون اسماً له . ويسميه فلاحو إقليم الزبداني (الحطام) لانه يكثر على شجر اللوز ولاسيا في قرى بلودان وبقين والجرجانية . وهذا الاسم هو عامي ايضاً . وأطلق عليه الاب بلو في معجمه الفرنسي العربي لفظ (شجرة الدبق والعنم) وكلا الاسمين غير صحيح . وسماه محمد النجاري بك في معجمه الفرنسي والعربي (الدبق) ووضع بجانب هذه اللفظة (ابن البيطار) بين هلالين . فراجعت مفردات ابن البيطار فلم اجد فيها ما يدل على ان الدبق هو الـ (Gui) .

واخيراً عثرت على لفظة الهَدالة في الامهات فاذا بها تعرّف بما يلي :
شجرة تنبت في السمر وليست منه وتنبت في اللوز والرمان وفي كل شجرة وثمرتها بيضاء ·
فهذا الوصف هو وصف الـ (Gui) بعينه مع شيء من المبالغة شأن الاقدمين في تحليلاتهم لانه لا يمكن ان تنبت الهدالة او الـ (Gui) في كل شجرة بل يكون لكل طفيلي مثلها أشجار معلومة تصاب به ·

وانا لم أسمع احداً يطلق لفظة الهدالة على النبات المذكور او على غيره · وعلى كل اذا كان لا يوجد احد عليم بهذه اللفظة وبمدلولها على وجه الصحة فهي أصلح لفظة يجب استعمالها للدلالة على النبات الذي نبحث عنه ·

***

ومن الثمار الجافة في علم النبات ثمرة تسمى بالفرنسية (Capsule) ترجمها بعض المؤلفين بلفظة (علبة) واقتبستها منهم في كتبي · وقد وجدت بعدئذ في المخصص الجملة الآتية (··· وكأن سنابله جراء الخشخاش ···) · فقلت : ان ثمرة الخشخاش نباتياً هي كبسول فلماذا لا نستعمل لها الجرو والجراء بدلاً من العلبة والعلب كما نستعمل السنفة للثمرة المسماة (Gousse) او (Légume) وهي ثمرة نباتات الفصيلة القرنيـة او الفصيلة القطانية على رأي العـالم الشهير الطبيب امين المعلوف · والسنفة ترجح على لفظة القرن التي لها عشرات من المعاني ·

وذكر الطبيب المشار اليه في بحثه القيم عن اصطلاحات النبات (مجلة المجمع ج٨ص ٣٣١) ان اوراق الشجر التي لا تسقط في الشتاء تسمى دائمة (Feuilles persistantes) · قلت ولهذا النوع من الاوراق في الامهات لفظة هي الهَدَب فان من جملة معانيها « مادام من ورق الشجر كالسرو » ·

واذا نظرت الى سنابل الشعير وجدتها انواعاً : فمنها التي يكون لها ستة صفوف من الحب اي تكون فيها جميع ازهار السنيبلات ملقحة (كالشعير الرومي) · ومنها التي يكون لها اربعـة صفوف اي تبدو السنبلة ذات اربع زوايا لان صفين من الحب يكونان قريبين من محور السنبلة فلا يظهر عليها الا اربعة خطوط · ثم هنالك الشعير ذو الصفين (كالشعير العربي) وهو الذي ليس في سنبله سوى صفين من الحب ·

فلفظة صف هنا يقابلها بالفرنسية لفظة (Rang) والفرنساويون يقولون (Orge à six rangs) و (Orge à deux rangs) للشعير ذي الصفوف الستة وللشعير ذي الصفين . وهما باللاتينية (Hordeum hexasticum) و (Hordeum distichum) . وقد وجدت المخصص يستعمل لفظة حرف بدلاً من صف و يستدل على ذلك من الجملة الآتية في وصف احد أصناف الشعير : (... ولسنبله حروف عدة ...) ولفظة حرف ترجح على لفظة صف في هذا المقام ولذلك اذا نعتنا سنبلة الشعير الرومي فلنقل انها ذات ستة حروف كما نقول ان سنبلة الشعير العربي هي ذات حرفين .

وللعنزة في الغوطة ولا سيما اذا كانت من العرق البلدي قطعتان تنبتان في اسفل العنق يبلغ طول كل منهما خمسة سنتيمترات الى عشرة والمسافة بينهما ثلاثة سنتيمترات الى اربعة . فكل من هاتين الهنتين تسمى بالعربية زَلَمة وهي بالفرنسية (Pendeloque) .

والأدوات التي يحصد الزرع بها كثيرة منها المنجل المعروف وهو بالفرنسية (Faucille) ومنها أداة تسمى بالفرنسية (Faux) لها نصل ذو عقب وعصا طويلة ذات قبضة اوقبضتين . والأكار يستعملها دون ان يحني ظهره او يقعد القرفصاء كما هي الحال في استعمال المنجل . وقد كنت سميتها الحصادة في الباكورة من كتبي وهو كتاب الزراعة العملية الحديثة . وأرى الآن ان يطلق عليها لفظة المقضب او المقضاب وان كان استعملها بعض اصحاب المعاجم الافرنجية العربية للأداة التي تقطع بها أغصان الشجر والتي تدعى بالفرنسية (Serpette) . فهذه الأداة الأخيرة يجب تسميتها مِشذباً من شذب الشجر اي قطع ماعليها من الأغصان .

وجاء في الجزء الاول من كتاب الزراعة المصرية لفظة السيف للأداة المسماة (Faux) ولا اظن هذه اللفظة تساوي المقضب او المقضاب .

اما آلة الحصاد التي تجرها الخيل فهي على أنواع فالمحصد العادي اوالمحش الذي يستعمل في قطع الكلاء هو بالفرنسية (Faucheuse) والمحصد الجامع الذي يحصد الحنطة و يجمع الغبوط ويلقيها على الأرض هو (Moissonneuse javeleuse) . فاذا ربطها قبل القائها فهو المحصد الرابط و بالفرنسية (Moissonneuse lieuse) .

وهنالك آلة تجمع الأقاط بعد الحصاد تسمى (Rateau) وقد كنت أسميتها المِلَمّ .

« للبحث صلة » مصطفى الشهابي

آراء وافكار

رسالة الكرم

— ٣ —

كنا نشرنا في (العدد ٥ من المجلد ٩) من مجلة المجمع العلمي العربي مقدمة لرسالة الكرم ووعدنا القراء الكرام بكلمة نقدمها على الرسالة ٠ في النجم والشجر والجنبة اتماماً للفائدة ، وقد عرض لنا من عوائق الدهر ما أخرنا عن نشرها الى الآن فرأينا ان نقدم تلك الكلمة الموجزة ثم نتبعها بالرسالة وفاءً بما وعدنا ٠

« الكلمة »

قال ائمة اللغة : النجم من النبات مالا يقوم على ساق ٠ وفي اللسان والنجم من النبات كل ما نبت على وجه الارض ونجم على غير ساق وتسطح فلم ينهض ٠ ونجم النبات وغيره طلع ٠

والشَجر كل ماله ساق كالشجَر ٠ وارض شَجِرة وشجيرة وشَجْراء كثيرة الشجر ، والمَشجر منبت الشجر وموضعها والمَشجَرة ارض تنبت الشجر الكثير ٠ وواد مُشجر واشجر وشجير كثير الشجر وهذه الارض اشجر من هذه ٠ أكثر شجراً ٠ وشَجر الشجرة والنبات شجْراً رفع ما تدلى من اغصانها ٠

وقال الخطيب : جميع ما ينبت نجم وشجر وجنبة [1] فالنجم ماباد الشتاء اصله وفرعه كالبقول وانواع من النبت كثيرة ٠ والشجر ما ثبت على ساقه ولم يبد الشتاء اصله ولا فرعه كالجوز واللوز والمشمش ونحوها ٠ والجنبة ما جانب هذين فلم يبد الشتاء اصله كما يبيد اصل البقل ولا يبقى فروعه كما يبقى فروع الشجر ولكن باد فرعه وبقي اصله ، والاصل الباقي يسمى الجِذْن وفيه يعشش الحمر والقنبر وذلك كالحرشف والتنوم والمكر والصليان ٠

(١) ضبطت في مبادئ اللغة مرة بضم الجيم وأخرى بفتحها ٠ وهو الموافق لما في اللسان وهو الصحيح ٠

وفي اللسان الجنبة عامة الشجر الذي يتربل في الصيف . وقال ابو حنيفة الجنبة ما كان في نبتته بين البقل والشجر وهما [1] مما يبقى اصله في الشتاء و يبيد فرعه . وقال الازهري : الجنبة اسم لنبوت كثيرة كلها عروة [2] سميت جنبة لانها صغرت عن الشجر الكبار وارتفعت عن التي لا ارومة لها في الارض فمن الجنبة النَّصِيّ والصِّلِّيان والحماط والمكر والدهماء صغرت عن الشجر ونبلت عن البقول ، قال وهذا كله مسموع عن العرب . وقيل هو كل نبت يورق في الصيف من غير مطر .

البقل ما نبت في بزره لا في ارومة ثابتة . وقال الراغب : البقل ما لا يثبت اصله وفرعه في الشتاء . وقال ابن سيده : البقل من النبات ماليس بشجر دِقّ ولا جِلّ، وحقيقة رسمه انه ما لم تبق له ارومة على الشتاء بعد ما يرعى .

والفرق ما بين البقل ودق الشجر ان البقل اذا رعي لم يبق له ساق والشجر تبق له سوق وان دقت .

ويقال : ابقل الشجر اذا دنت ايام الربيع وجرى الماء فيها فرأيت في اعراضها مثل اظفار الطير واعين الجراد قبل ان يستبين ورقه فيقال حينئذ صار بقلة واحدة . واسم ذلك الشيء الباقل ويقال كل ما اخضرت له الارض فهو بقل وارض بَقِلة و بَقيلة ومبْقَلة ومبقُلة وبقّالة . ذات بقل . وتبقلت الماشية وابتقلت رعت البقل . وتبقل الرجل خرج يطلب البقل .

والعرب تقول للذي يبيع كل شيء من المأكولات بدّال والعامة تقول بقّال وقال السمعاني هو من يبيع اليابس من الفاكهة . والسُّطّاح من النبت ما افترش فانبسط على وجه الارض ولم يسم كالقثاء واليقطين . والعروة من النبات ما بقي له خضرة في الشتاء .

والعروة من دق الشجر ماله اصل باق في الارض مثل العرفج واجناس الخلة والحمض

---

(١) هكذا جاءت في لسان العرب ونقلها في التاج وهي مخالفة لما سيأتي في معنى البقل . ولعلها وهي اي الجنبة مما يبقى اصله في الشتاء الخ . وهو الموافق لما تقدم في تفسيرها .

(٢) في التاج كلها عروق وما هنا اصح .

فاذا امحل الناس عصمت العروة الماشية فتبلغت بها . والعروة من الشجر ما لا يسقط ورقه في الشتاء مثل الاراك والسدر الذي يعول عليه الناس اذا انقطع الكلأ . وقيل العروة الشيء من الشجر الذي لا يزال باقياً في الارض ولا يذهب .

الاصل اسفل كل شيء . واصُل وتأصّل صار ذا اصل واستأصلت الشجرة ثبت اصلها واستأصلها قلعها من اصلها .

الجِعثِنة ارومة كل شجرة تبقى على الشتاء والجمع جِعثن . وفي اللسان الجعثن ارومة الشجر بما عليها من الاغصان اذا قطعت . وقال الازهري : كل شجرة تبقى ارومتها في الشتاء من عظام الشجر وصغارها فلها جعثن في الارض وبعد ما ينزع فهو جعثن حتى يقال لاصول الشوك جعثن .

ويقال لما في جوف الارض من اصل الشجرة أرومة الأرومة بالفتح وبضم والجمع أروم .

الجَذاة اصول الشجر العظام العادية التي بلي اعلاها وبقي اسفلها جمعها جِذاء قال تميم بن مقبل :

بانت حواطب ليلى يقتبسن لها جزل الجِذا غير خوار ولا دَعِر

الجِنث اصل الشجرة وهو العرق المستقيم ارومته في الارض و يقال بل هو من ساق الشجرة ما كان فوق العروق .

العِرْقاة بالكسر وبفتح والعرقة بالكسر الاصل الذي يذهب في الارض سفلاً وتشعب منه العروق ، وفي القاموس وقولهم استأصل الله عرقاتهم ان فتحت اوله فتحت آخره وهو الاكثر ان كسرته كسرته على انه جمع عرقة بالكسر .

وعروق الشجرة وغيرها اطناب تتشعب منها واحدها عِرق يقال اعرق الشجر والنبات وعرّق اذا امتدت عروقه في الارض .

الجِذْل اصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفروع جمعه اجذال وجِذَال وُجذُول وجذُولة القَصَرة والعجز من الشجرة . اصلها الذي يلي الارض .

ساق الشجرة جذعها وقيل هو ما بين اصلها الى مشعب افنانها جمعه سوق واسؤق وسووق وسؤوق . وشجرة سَهْوَق طويلة الساق ، والسهوق الريان من كل شيء قبل النماء وكل شيء تزّ وارتوى من سوق الشجر والطويل من الرجال ويستعمل في غيرهم .

الغصن ما تشعب من ساق الشجرة والغُصنة الشعبة الصغيرة منه جمعها غُصن .

الشُّنْذُب والشنغوب اعلى اغصان الشجر كالشُّنغُب والشُّنغوب و يقال للغصن الناعم الرطب شنغوب .

الخُصل اطراف الشجر المتدلية ، وكل غصن من اغصان الشجرة خُصلة والخَصلة والخُصَلة والخَصَلة عود فيه شوك وقيل هو طرف القضيب الرطب اللين . وخصله خصلاً قطعه . وخصّل الشجر قطع اغصانه وشذبه .

الاختلاء جذب الغصن حتى ينزع من اصله و يقال امتسخ العود من الشجرة اذا سله منها فقطعه .

و يقال لما بقي من اصول الاغصان في الشجر بعد ما يقطع . القُطْعات الواحدة قُطْعة وهي الأُبن وفي اللسان و قَطعات الشجر أُبَنها التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة قَطعة . وفي القاموس وقطعات الشجر كهُمُزة و بالتحريك وبفتحتين اطراف ابنها التي تخرج منها اذا قطعت .

فاذا اخذت اغصان الشجرة كلها وورقها فهي السليب وقد سلبت الشجرة اذا فعل بها ذلك وشجر سُلُب لا ورق عليه ونخل سُلُب لا حمل عليه وهو جمع سليب .

الشماليل ما تفرق من شعب الاغصان في رؤوسها كشماريخ العذق قال العجاج :

وقد تردى من اراط ملحفا منهـا شماليل وما تلقفا

الهَدَب اغصان الأرطى ونحوه مما لا ورق له واحدته هدبة والهدب ما دام من ورق الشجر ولم يكن له عير .

والهدب من النبات ما ليس له ورق الا انه يقوم مقام الورق او كل ورق ليس له عرض كورق الاثل والسرو والارطى والطرفاء . كالهُدّاب واحدته هُدّابة وهدب الشجر كفرح واهدب طالت اغصانه وتدلت من حواليه فهي هدباء .

العَبَل الهدب وهو كل ورق مفتول غيرمنبسط كورق الارطى والطرفاء واشباه ذلك . وقيل هو مثل الورق وليس بورق . وأعبل الارطى ونحوه اذا طلع ورقه واعبل ايضاً اذا سقط ورقه .

والفَتَل ما ليس بورق الا انه يقوم مقام الورق . وقيل ما لم ينبسط من النبات

ولكن تفتل فكان كالهدب وذلك كهدب الاثل والطرفاء . و يقال اربش الشجر ارباشاً وارمش ارماشاً اذا اورق وقيل اذا اخرج ثمره كأنه حمص .

النَجَب لحاء الشجر اوقشر عروقها اوقشر ماصلب منها ولا يقال لما لان من قشور الاغصان نجب ولا يقال قشر العروق ولكن يقال نجب العروق والواحدة نجبة . والنَجْب مصدر نجب الشجرة يَنجُبُها اذا اخذ قشرة ساقها ونجبها تنجيباً اخذ قشرها .

والقِرْف لحاء الشجر واحدته قِرْفة وجمعه قروف والقِرافة كالقرف . وكل قشر قرف ومنه قرف الرمانة . وقرف الخبز الذي يقشر و يبقى في التنور والقرفة الطائفة منه . وقرف الشجرة يقرفها قرفاً نحت قرفها وقرف القرحة فتقرفت اي قشرها وذلك اذا يبست .

والقِلْف والقلافة القشر وقلف الشجرة نزع عنها لحاءها .

الشَكير لحاء الشجر والجمع شُكُر قال هوذة بن عوف العامري :

على كل خوار العنان كأنها عصا ارزن قد طار عنها شكيرها

القِشْر قشر كل شيء خلقة او عرضاً وقَشَر قَشراً وقشّره تقشيراً سحا عنه لحاءه او جلده والقُشارة ما تقشره عن شجرة من شيء رقيق . ولباس الرجل قشره وكل ملبوس قِشْر . وثمر قَشِر وقشير كثير القشر . وقشرة الهبرة وقُشرتها جلدها اذا مص ماؤها وبقيت هي . وسحاة كل شيء قشره والجمع سحا .

ويقال انسغت الشجرة اذا نبتت بعد القطع . والنُسْغ ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت .

و يقال للندي الذي تخرجه عروق الشجر الى غصونها طل والاُنبوش والانبوشة ما قلعته مع اصله من صغار الشجر . وفي اللسان الشجرة تقتلعها بعروقها واصولها وكذلك هو من النبات . واناببش العنصل اصوله تحت الارض واحدها انبوشة .

الرَبْل ضروب من الشجر اذا برد الزمان عليها وادبر الصيف تفطرت بورق اخضر من غير مطر يقال منه تربلت الارض والربل ورق ينفطر في آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر والجمع ربول . وقد تربل الشجر وخرجوا يتربلون يرعون الربل

وتربلت الارض اخضرت بعد اليبس عند اقبال الخريف والربل ما تربل من النبات في القيظ وخرج من تحت اليبس منه نبات اخضر ·

ويقال صَمَل الشجر اذا عطش فخشن و يبس فهو صميل وصامل · قالت زينب الطثرية :

ترى جازر به يرعدان وناره عليها عداميل الهشيم وصامله

والعداميل جمع عدمول وهو الشجر القديم ·

المستباهة الشجرة يقعرها السيل فيخيها عن منبتها كأنه مأخوذ من الاستباء وهو الذي يخرج من ارض الى اخرى ·

القادح أكال يقع في الشجر والاسنان · والقادحة الدودة التي تأكل الشجر والسن · وقد قدح في السن والشجرة وقدح الدود في الاسنان والشجر قدحاً وهو تأكل يقع فيه ·

البَعْل كل شجر او زرع لا يسقى وقيل البعل والعِذْي واحد وهو ماسقته السماء · والسِقْي الذي لا يعيش بالاعذاء انما يسقى يقال زرع سقيٌ ونخل سقيٌ اي يسقى بالماء و يقال زرع مَسْقَوي اذا كان يسقى ومظمئي اذ كان عِذْياً ·

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي

النبتة الطروب

قرأت المقال المعنون (كتاب نزهة العيون) لزميلنا العلامة الاستاذ الشيخ كامل الغزي فرأيته يعد مما تستبعد العقول وقوعه ما حكاه له القاضي فخر الدين ابراهيم بن علي دبوقا من انه رأى في بعض قرى بعلبك نباتاً يشبه المنثور في لونه و كونه وان بعض الظرفاء غنى النبات بيتين من الشعر فاهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى تناثرت اوراقه وذبلت طاقاته ، وان استبعاده الرواية على وجهها المذكور بدون حملها على المبالغة هو في محله ، ولكن حكاية هذا النبات معروفة في هذه الديار واليك البيان :

هذا النبات يعرف بالعاشق وتسميه العامة عَوَرنين يشبه زهره زهر المنثور الاصفر

وهو بري وتذكر له العامة هذه الخاصة وهي انه اذا أُنشد بصوت حزين شيئاً من النغم تساقط زهره ، وقد تذاكرنا يوماً ونحن أمام نبتة منه ايام الربيع فذكر لنا احد اصحابنا صفة هذا النبات وتقدم اليهـا ليرينـا صحة زعمه فمسكها بيده وقال أهزُّها اولاً لتروا ان زهرها ثابت عليها قبل الغناء ، وبعد ان هزّها بيده فلم يسقط منها شيء اخذ في الغناء واخذ الزهر يتساقط ، فقلت حسبك هذه نبتة ثانية غنها ما شئت وباي نغم شئت ولا تمسها قبل الغناء كما فعلت بالاولى ، فغنى واجتهد وحزن كثيراً ولم يستفد شيئاً اذ بقي زهرها ثابتاً عليها ، فقلت له تأخر الآن عنها وتقدمت اليها فهززتها بيدي ورجعت عنها ونحن ساكتون ننظر اليها فاذا زهرها يتناثر بعد نصف دقيقة او دقيقة من هزها وظهر لاصحابنا ان الخاصة للهز لا للغناء .

احمد رضا

عضو المجمع العلمي

استدراك على مقالة

« كتاب نزهة العيون »

هي المقالة التي نشرت في العدد الاخير من مجلة المجمع ج ١١ و ١٢ ص ٦٨١ من المجلد التاسع لسنة ١٩٢٩

كنت قبل ان اضع تلك المقالة — تقدمت الى العلامة احمد تيمور باشا برسالة استمحت فيهـا من معين علمه بيان ما عنده من ترجمة ذلك الكتاب المطلوب .

فكتب اليّ يقول : ان الكتاب الذي وصفتموه في مجلة المجمع ج ٩ ص ٦٨١ وورد اسمه بخط غير خطه (نزهة العيون في اربعة فنون) الصواب ان اسمه (مباهج الفكر ومناهج العبر) لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الانصاري الكتبي المعروف بالوطواط المترجم في الدرر الكامنة لابن حجر والمتوفى سنة ٧١٨ وان اسم الكتاب وارد في اثناء الخطبة فالظاهر ان النسخة التي اطلعتم عليها وقع بها سقط في الخطبة وارجو أن تراجعوا المشرق ج ١٠ ص ٧٢١ و٧٧٤ ومجلة المقتبس ج ٥ ص ٥٤٠ ففيهما وصف لهذا الكتاب وراجعوا ايضاً كشف الظنون في (مباهج الفكر) وفي (مناهج الفكر) .

جمال الدين الوطواط هذا غير رشيد الدين الوطواط صاحب الرسائل المتوفى سنة ٥٧٣ .

عضو المجمع العلمي
كامل الغزي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : تأليف نور الدين ابي الحسن علي بن ابي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ ﻫ جمع فيه مؤلفه زوائد الكتب الستة من مسند الامام احمد بن حنبل والبزار وابي يعلى والموصلي والمعاجم الثلاثة للطبراني فأصبح بذلك كتاباً حافلاً في موضوع الحديث النبوي (رقم ٦١١ حديث) .

المجمل في اللغة : تأليف ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٠ اقتصر فيه مؤلفه على الالفاظ المستعملة ما لهم معرفته وأخذ اكثرها عن السماع وعمن تقدمه واختصر الشواهد . ورتبه مؤلفه على الابجدية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه حتى طابق اسمه مسماه . والموجود منه الجزء الثاني فقط يبتدئ من حرف العين الى آخر الكتاب في ٣٧٥ صفحة متوسطة . بخط ابي بكر محمد بن محمد بن خلف في سنة ٥٨٩ (رقم ١٢٣ لغة) . وقد طبع الجزء الاول منه في مصر سنة ١٣٣٢ ص ٣١٩ على نفقة الحاج محمد ساسي المغربي .

جنى الداني في حروف المعاني : تأليف بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المتوفى سنة ٧٤٩ﻫ : وهو مرتب على مقدمة مشتملة على خمسة فصول . ثم اورد خمسة ابواب من الأحادي الى الخماسي قال صاحب كشف الظنون : هو مأخذ المغني لابن هشام . كتب سنة ١٠١٩ في ٢٥٠ صفحة صغيرة (رقم ٢٦١ نحو) .

شرح الايضاح : (الايضاح) تأليف ابي علي حسن بن احمد الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ والشرح لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ ﻫ شرحه اولاً شرحاً مبسوطاً في

نحو ثلاثين مجلداً وسماه المغني ثم لخصه في مجلد واحد وسماه المقتصد وهو في مجلد ضخم في ٤٠٩ صفحات كبيرات بخط حسن ترجع كتابته الى القرن الحادي عشر (رقم ٣٥٤ نحو) .

مجمع الآداب في معجم الاسماء والالقاب : تأليف كمال الدين عبد الرزاق الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ . قال صاحب كشف الظنون انه في خمسين مجلداً وهو مرتب ترتيباً غريباً في أسلوب عجيب : الموجود منه الجزء الرابع يبتدئ من حرف العين الى حرف القاف بخط مؤلفه وجامعه سنة ٧١٧ في زهاء ٦٠٠ صفحة متوسطة (رقم ٢٦٧ : تاريخ) .

إنباء الغُمر بأبناء العمر : تأليف شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وهو تاريخ مصر والشام متضمناً حوادثها وتراجم رجالها منذ ولادة مؤلفه الى سنة ٨٥٠ هـ مما أدركه او سمعه وقد رتبه على السنين : فيذكر حوادث كل سنة ثم تراجم الوفيات فيها . وهو مجلد ضخم زهاء ١٢٠٠ صفحة بخط مؤلفه (رقم ٢٤١ : تاريخ) .

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

تاريخ الحركة القومية
[وتطور الحكم في مصر]

« صدر منه جزآن يحتويان على نحو ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط »

« تأليف عبد الرحمن بك الرافعي »

آل الرافعي أسرة لا اعرف منها الا كل خادم لبلاده صادق الخدمة ، وغيور على لغة آبائه واجداده لا ينفك عن العمل لاجلها ما استطاع الى العمل سبيلا . ولعمري ان أمة تنبت الحراص على استقلالها يتلو بعضهم اثر بعض لا بد ان تدرك غايتها مهما تكن طريقها مشوكة ، واللغة التي لها من ابنائها اناس يؤمنون بها ايماناً لا بد ان تظل حية ما دام ذلك الايمان راسخاً في القلوب .

وكتاب الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي هو دروس في الوطنية يجدر بكل ناطق بالضاد ان يتلوها فيرى فيها بدء الحركة القومية المصرية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر اي منذ احتلال حملة نابليون لمصر الى ايام محمد علي الكبير . ولقد سرد الاستاذ الابحاث بعبارات طلية وسلسلها على شكل يستحسن ودعمها بوثائق عديدة نقلها عن مذكرات رجال حملة نابليون والمؤرخ الجبرتي وغيرهم فجاء الكتاب تاريخاً سياسياً وقومياً لتلك السنين يشاهد فيه ابناء مصر اليوم ما لاقاه اجدادهم من ظلم المستعمرين وفظائعهم (سواء أكانوا اتراكاً ام مماليك ام اوربيين) وماأتوه من الاعمال للخلاص من سيطرة المتغلبين المشؤومة . فما جاء في الصفحة ٤٣ من الجزء الاول عن ابن اياس ان السلطان سليم خرج من مصر ومعه الف جمل محملة من الذهب والفضة فضلاً عن التحف والسلاح واعمدة الرخام والصيني والنحاس واخذ من مصر من كل شيء احسنه وذلك عدا ماغنمه وزراؤه من الاموال الجزيلة وكذلك عسكره فانهم غنموا من النهب مالا يحصى وبطل من مصر نحو خمسين صنعة . ولا شك ان اكبر طعنة للغة العربية جاءت من يد الاتراك العثمانيين بجعلهم التركية لسان الدولة الرسمي في مصر مع ان العربية هي

التي كانت اللسان الرسمي الى زوال دولة السلاطين البرجية (الشراكسة) .

وقد اعجبنا قوله أن سلطة محمد علي الكبير قامت على ارادة الشعب ولذلك تمكن بها من القضاء على سلطة الاتراك والمماليك معاً .

وبعد اننا نشكر للاستاذ الفاضل هديته ونتمنى ان يوفق الى اتحاف البلاد بباقي حلقات هذه السلسلة الذهبية . مصطفى الشهابي

لبنان وسوريا

[قبل الانتداب وبعده]

« تأليف بولس مسعد وهو يقع في ١٢٩ صفحة »

هل قرأت مصنفات بعض الكتاب الاوربيين الذين سدل التعصب غشاوة على ابصارهم وبصائرهم والذين يهبطون بلاد الشام فيقيمون فيها عشرة ايام او عشرين يوماً يظنون بانتهائها انهم صاروا عليمين بتاريخ هذه البلاد وجغرافيتها وزراعتها وتجارتها وعادات سكانها وميولهم السياسية وكل ما يهم القراء الاطلاع عليه من شؤونهم ؟ اذا كنت قرأت بامعان كتباً كهذه وهالك ما وجدته فيها من الاقوال الغريبة والافكار المضرة والنيات السيئة فاعلم ان كتيّب السيد بولس مسعد هو من هذا القبيل .

مصطفى الشهابي

خمسة اعوام في شرقي الاردن

« بقلم الارشمندريت بولس سلمان امين سر غبطة بطريرك الروم الكاثوليك »

كتاب بقطع الربع يناهز ثلاث مئة صفحة جلي الطبع حسن الورق مطبوع في مطبعة القديس بولس بحريصا (لبنان) يتخلل متنه عدد من الرسوم التي توافق الابحاث ، وهو مصدر ببيان شيّق بقلم الشاعر المشهور خليل بك مطران . وقد قدّمه مؤلفه « الى الامة العربية النبيلة والى صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن الحسين » .

اختار سيادة المؤلف هذا الاسم لكتابه للدلالة على الزمان الذي قضاه في شرق الأردن وكان يومئذ في ذلك القطر العربي رئيساً دينياً وكانت مهمته فيه مرتبطة بطائفته فقط . الا انه لم يقف اوقاته على تلك المهمة بحسب شأن بقية الرؤساء الدينيين بل صرف همه ايضاً الى التجول في انحاء هذه الامارة البدوية وخالط اقوامها وتعرّف احوالهم وعوائدهم وسرائرهم وسهر الليالي في تدوين مشاهداته ومحادثاته ، وكان يحبرها في ساعات الفراغ بلسان عربي فصيح سهل ، يبعث في فصولها الى مجلة المشرق البيروتية التي نشرتها تباعاً . واذ رأى اقبال الادباء على تلك الابحاث وارتياحهم اليها ، وخصوصاً المستشرقين منهم ، نقحها وجمعها وزاد عليها ماتيسر بحيث جاءت سفراً ، وهو الكتاب الذي نحن بصدده ، يعرّف قارءه من احوال العرب الرحل مالا تستطاع معرفته الا لمن قضى بينهم السنين الطوال .

والكتاب حسن التبويب يبحث في تاريخ اهل البادية وشعرهم وقضائهم واديانهم ، وفي آخره جدول مسهب عن عشائر شرق الاردن . فنشكر لسيادة الارشمندريت جهوده الطيبة في خدمة العرب والعربية ونتمنى ان يتسنى له تحقيق امله باتباع هذا الجزء بجزء آخر يضم الفوائد في الاسرة البدوية والزعامة والقبيلة والعشيرة والغزو الى آخر ماوعد به في مقدمته من الشروح .

ولعل خير ماقيل عن هذا الكتاب لمؤلفه عبارة ختم فيها خليل بك مطران بيانه الشيق قال :

« . . . . كان الناس قديماً يسترشدون بما يرشدهم اليه رجال الدين لمعرفة دنياهم والاخذ بالصالح النافع من شؤونها ، أما الآن فقد اصبحوا يستعيدون كرامة الدين عند أنفسهم مما يجدونه في أعمال أئمته من صالح ونافع في أعمال الدنيا » .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي العربي